الباب الأول

الإطار النظري للدراسة

الفصل الأول ، التغيرات الثقافية المعاصرة.

الفصل الثاني ، التعليم الثانوى الفنى والتغيرات الثقافية.

الفصل الثالث ، ماهية المكتبة المدرسية.

الفصل الأول
التغيرات الثقافية المعاصرة

مقدمة:

"لا جدال فى أن عصرنا الحاضر - عصر المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية عصر الفضائيات والبرمجيات والاستنساخ ، عصر العولمة والانترنت - يعد عصرا مختلفا اختلافا بينا عن أى عصر سابق"(١) ولا جدال فى أن "مسيرة التطور والتغيير هى سنة الحياة والعمران البشرى منذ أن خلق الله آدم حتى تقوم الساعة ، وهى مسيرة متصلة لا تنقطع ، رددها ابن خلدون فى مقدمته حين تحدث عن تبدل الأحوال مع تغيير الأزمان"(٢) "وما من مجتمع إنسانى إلا ويمر بحالات من التبدل والتغير الثقافى والاجتماعى ، ولعل نظرة سريعة وفاحصة على تطور المجتمع الإنسانى تدلنا على ذلك بشكل واضح وجلى. فانتقال المجتمعات الإنسانية من حالة البداوة إلى حالة التحضر ، وكذلك انتقالها من حالة الزراعة إلى حالة الصناعة ، كلها شواهد كبيرة تؤكد على تغير بيئة المجتمع الإنسانى"(٣) وهناك فرق بين مفهومى: التغير الثقافى ، والتغير الاجتماعى فعندما نقول التغير الاجتماعى فإننا نعنى به: "التغيرات التى تحدث فى التنظيم والبناء الاجتماعى ، والعلاقات الاجتماعية ، أى فى بناء وظائف المجتمع المتعددة والمختلفة ، بينما التغير الثقافى فنعنى به كل التغيرات التى تحدث فى كل فرع من فروع الثقافة فى المجتمع"(٤).

---

(١) محمود حمدى زقزوق: الإسلام فى عصر العولمة ، سلسلة قضايا إسلامية ، ط١ ، ع (٥٣) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، (القاهرة ، مطابع الأهرام ، أكتوبر ١٩٩٩م) ، ص ٣.

(٢) حامد عمار: من همومنا التربوية والثقافية ، ط١ ، (القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٥م) ، ص ١٣٩.

(٣) شبل بدران، وأحمد فاروق محفوظ: أسس التربية، ط١ ، (الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣م) ، ص ٨٩.

(٤) (المرجع السابق): ص ١٠٦. ومحمد مصطفى حبشى: "أثر الغزو الثقافى على تنشئة الطفل فى الأسرة الخليجية" ، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، مج (٢) ، ع (٧) ، جامعة أسيوط ، ١٩٩٠م ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢.

إذن موضوع التغير الثقافى أوسع من موضوع التغير الاجتماعى والأخير جزء من موضوع أوسع وهو التغير الثقافى.

والآن وفى هذه الحقبة من الزمن تنتاب العالم موجة من التحولات/التغيرات وتشكل تلك التحولات/التغيرات بذاتها ثورة ثقافية خطيرة ، كما تفرض مجموعة من التحديات الثقافية لكل أمم الأرض بصفة عامة ولأمتنا العربية .بصفة خاصة .تشكل "تحديات أكثر قسوة وخطرا ، وذلك لأن أزمة الثقافة فى حالتنا تتجلى فى عجز وسائلها عن الدفاع عن ذاتها إزاء أخطار القوى الخارجية من مختلف الأنواع"(١) "وفى عالمنا المعقد هناك آلاف الأحداث التى تقع بين لحظة وأخرى ، جميعها تخلق أوضاعا توازنية جديدة"(٢) "فما يقع اليوم من تطورات علمية واجتماعية فى فترة وجيزة من الزمن يفوق ما كان يتم فى قرون كاملة من الماضى ، فالبحث والمعرفة فى نمو وتوسع سريعين،ومعرفتنا السيكولوجية والاجتماعية بطرق التعلم تفتح آفاقا جديدة للتربية لتؤدى وظائفها على أساس وطيد"(٣) لمواجهة المشكلات والتحديات التى أفرزتها تلك التغيرات المختلفة ، ومن ثم القدرة على مواكبة التغيرات الهائلة المتتابعة فى عالمنا المعاصر. وهذا بلا شك أضعف الإيمان على الأقل إذا لم نشارك فى صنع هذا التغير. ولذا فلابد أن يمتد مفهوم التربية لتكون مدى الحياة ، أو من المهد إلى اللحد على حد تعبير الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) والآن قد انتهى القرن العشرين وقد قلبت يد التاريخ صفحات هذا القرن لنمضى قدما نحو

(١) سليمان إبراهيم العسكرى: "الثقافة العربية والخروج إلى المستقبل" ، مجلة العربى ، ع (٤٩٢) ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، نوفمبر ١٩٩٩م ، ص ١٩.

(٢) حمدى أحمد الخانى: مقدمة فى الاقتصاد الكلى ، ط١ ، (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٥م) ، ص٢٨.

(٣) سعيد إبراهيم: الخدمة المكتبية ودورها فى دعم المنهج بالمرحلة الثانوية ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة طنطا ، ١٩٧٦م ، ص ١.

القرن الحادى والعشرين الميلادى وأصبحنا نعاصر بدايته وعقده الأول "والأيام والسنين شهود على الناس ، أو شهود لهم ، شهود عليهم إن أساءوا ، وشهود لهم إن أحسنوا"(١).

ولذلك فنحن نحتاج إلى حركة اجتماعية عنوانها وآفقها المحرك هو "التنمية وتوسيع إطار الديمقراطية ، وتعزيز مؤسسات المجتمع المدنى ، وتفعيل قيم الحوار والتعددية وقبول الرأى والرأى الآخر ، وفى القلب من تلك الحركة الاجتماعية توفير حرية التفكير والبحث العلمى ، وإنشاء نظام تعليمى مختلف كليا عن النظم القائمة حاليا فى مجتمعاتنا العربية ، مختلف فى مادته وفلسفته ، ويقوم فى الأساس على تأهيل وإعداد كوادر تعليم عالية المهارات ، واحترام عقل المتلقى ، وتوفير وسائل تمكينه من الاستيعاب الناقد للمعلومات والآراء وإبداع الأفكار ، واختصار الزمن فى مناهجنا التعليمية ، وإطلاق العنان للطاقات الشابة فى كل المجالات لكى تفكر وتبدع وتعزز ثقتها بإمكاناتها"(٢) وهذا مطلب له أهميته وتنبع أهميته من طبيعة العصر/الزمن ونحن فى مستهل القرن الجديد أو الألفية الثالثة ، قرن العولمة والسوق الكونى ، قرن الثورة العلمية الثالثة.

ومما سبق بات من الواضح أن التغيرات الثقافية التى يموج بها العالم عملية ضرورية مستمرة وفق صيرورة الزمن ، طالما كانت هناك حياة إنسانية على سطح الأرض حتى تقوم الساعة . ولا يستطيع أحد مهما كانت جنسيته فى ظل تطورات وثورات العلم الحالية ، أن يوقف اطرادها ، وتشمل تلك التغيرات الثقافية كافة جوانب المجتمع والتى يمكن رصدها وتصنيفها فى المجالات التالية:

---

(١) محمد سليم العوا: "التربية أداة للتغيير" ، مجلة العربى ، ع (٤١٦) ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، (يوليو ١٩٩٣م) ، ص ٢٤.

(٢) سليمان إبراهيم العسكرى: "قرن يمضى وقرن يجيئ ، العرب والقرن الواحد والعشرين" ، مجلة العربى ، ع (٤٩٣) ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، (ديسمبر ١٩٩٩م) ، ص ٢٠.

١-تغيرات ثقافية ـ أيكولوجية،

"كلمة أيكولوجيا" *Ecology* باللغة الإنجليزية مشتقة من كلمة يونانية الأصل هى *Okologie* مكونه من مقطعين يونانيين وهما "إيكوس" *Oikes* ويقصد بها المعيشة (بمعنى بيت) و"لوجوس" *Logos* ومعناها دراسة (بمعنى علم). وعلى ذلك تكون "الأيكولوجى" هى علم دراسة أماكن معيشة الكائنات الحية وكل ما يحيط بها من الحيوانات والنباتات والظروف الجوية والتربة وعلاقتها بعضها ببعض"(١) ويرجع الفضل إلى الفيلسوف الألمانى "أرنست هايكل"(*) (١٨٦٩م) *Ernest Haeckel* الذى وضع أسس ـ علم البيئة أو *Ecology* وموضوعه "دراسة تعاون الكائنات العضوية التى تعيش فى بيئة واحدة جميعا، وتلاؤمها مع هذه البيئة"(٢).

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: ما البيئة؟ وما المشكلات والتحديات الناتجة عن سوء تفاعل الإنسان معها؟! وللإجابة على هذا السؤال نقول: "البيئة *Environment* هى ـ ببساطة ـ كل ما يحيط الإنسان من تربة وهواء وماء وكائنات حية من نباتات وحيوانات بجميع أنواعها وفصائلها"(٣) وفى اللغة العربية فإن كلمة بيئة "مشتقة من الفعل الثلاثى بوأ، وتقول بوأ، ونقول تبوأ المكان أى نزل وأقام به، والبيئة هى المنزل

---

(١) ممدوح عطية: إنهم يقتلون البيئة، ط١، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م)، ص١٨. وعلياء حاتون، وآخرون: علم البيئة، ط٢، (الأردن، فلسطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م)، ص ٩.

(*) أرنست هايكل: كان أستاذا لعلم الحيوان فى جامعة فينا، وضع فلسفته المادية فى كتاب ترجم للإنجليزية بعنوان: The Riddle of the universe-The Thinders library, No-3 London, 1929-1946.

(٢) محمد السيد غلاب: البيئة والمجتمع، ط٧، (القاهرة، مكتبة مطبعة الإشعاع الفنية، ١٩٩٧م)، ص٢٥، ٢٦.
وسهام نصار: "دور الصحافة فى التوعية بمشكلات البيئة فى مصر"، مجلة كلية الآداب، ع (١٢)، مطبعة جامعة سوهاج، ١٩٩٢م، ص ٢١٩.

(٣) أمل مصطفى مراد: تلوث البيئة، سلسلة المعارف، العدد (١٤)، (القاهرة، المكتب العربى، ١٩٩٥م)، ص ٤.
ومنى قاسم: التلوث البيئى والتنمية الاقتصادية، ط١، سلسلة مكتبة الأسرة، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م)، ص ٢٥.
ومحمد السيد أرناؤوط: الإنسان وتلوث البيئة، ط١، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م)، ص ١٧.

أو الحال"[١] والعلاقة بين الإنسان والبيئة أصبحت قضية تشغل اهتمام كل من يعيش على سطح الأرض ، ويرتبط نجاح الإنسان فى المحافظة على البيئة على قدر فهمه لها وتحكمه فيها ، واستثماره السليم لمواردها وفى نفس الوقت يمثل الإنسان "أحد العوامل الهامة فى النظام البيئى بل هو يعتبر من أهم عناصر الاستهلاك التى تعيش على سطح الأرض"[٢].

ويؤكد الخبراء والمتخصصون فى البيئة على أن "للإنسان فى نشاطه وتفاعله غير السليم مع بيئته الطبيعية ، ومع مكوناتها ومواردها المختلفة هو أساس مشكلة البيئة"[٣] فسبحان الخالق إذ يقول: "إن كل شئ خلقناه بقدر"[٤]. ولقد تفاقمت المشكلات البيئية خاصة بعد ثورة التقدم العلمى والتكنولوجى ، ومن ثم ظهر العديد من المشكلات البيئية التى أصبحت تهدد صحة وحياة الإنسان والتى منها: "مشكلة الانفجار السكانى استنزاف الموارد الطبيعية (المياه . الطاقة . الثروة المعدنية ...) ، التصحر ، التلوث البيئى بأشكاله وأنواعه المختلفة (انظر الشكل التالى (٢-١) ، التجارب النووية ، نقص الغذاء

(١) أحمد محمد صبرى: سلسلة دائرة المعارف العلمية ، الجزء الأول ، (القاهرة ، دار التقوى للطباعة والنشر ١٩٩٧م) ، ص ٢٥.
ونبيه أبو اليزيد متولى: "السلوكيات البيئية الضارة بالصحة وعلاقتها بكل من الوعى والضمير البيئى" المؤتمر الثانى للعلوم التربوية والنفسية ، الذى انعقد بكلية التربية بكفر الشيخ - جامعة طنطا ، بتاريخ (١٤-١٦) أكتوبر ١٩٩٥م ، ص ٨.

(٢) عبدالحكيم عبداللطيف الصعيدى: البيئة فى الفكر الانسانى ، والواقع الإيمانى ، ط١ ، (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٤م) ، ص ٢٨.

(٣) عبدالسلام مصطفى عبدالسلام: "الثقافة البيئية لدى طلاب جامعة المنصورة ، دراسة ميدانية" ، المؤتمر العلمى الثالث بعنوان: (رؤى مستقبلية للمناهج فى الوطن العربى) ، المجلد الأول ، (الإسكندرية ، بل برنت للطباعة المنعقد فى الفترة من ٤-٨ أغسطس ١٩٩١م) ، ص ١١٣.
وعبدالقادر عبدالعزيز: "الأخطار البيئية البشرية التى هى من صنع الإنسان" ، مجلة جامعة طنطا للبيئة ، ع (٤) (مطبعة جامعة طنطا ، ١٩٩٨م) ، ص ٤٥-٦٤.

(٤) القرآن الكريم: سورة القمر ، الآية (٤٩).

وانتشار المجاعات ، انقراض العديد من الحيوانات ..."[1]. وجدير بالذكر أن هذه المشكلات شملت الدول النامية والمتقدمة على حد السواء ولكن مع اختلاف نوعية ودرجة التلوث ، وليس هنا مجال لسرد وتقصى كل مشكلة من المشكلات السابقة ولكن سنكتفى بأن نشير إلى ما جاء فى تقرير منظمة الصحة العالمية بشأن التلوث لنستفيد منه فى إثارة الوعى بقضايا البيئة ، وهذا بعض ما جاء فى هذا التقرير[2]:

١- إن الحياة الملوثة تقتل أكثر من عشرين ألف شخص يوميا من دول العالم الثالث.

٢- إن ستة ملايين طفل فى الدول النامية يموتون سنويا نتيجة الإصابة بأمراض الإسهال.

٣- إن نصف سكان العالم الثالث يعانون من مشاكل مرضية معوية.

٤- إن أكثر من نصف سكان العالم لا يستطيعون الحصول على مياه نقية.

٥- إن الإسراف فى استخدام المبيدات الحشرية المنزلية يؤدى إلى نتائج خطيرة على الإنسان تفوق الأضرار التى تسببها تلك الحشرات.

٦- إن الإسراف فى استخدام "المكياج" وبعض العطور لها أضرار منها سرطان الجلد.

٧- تتسبب الأغذية المحفوظة والمكشوفة فى تواجد آثار ضارة خطيرة على صحة الإنسان.

٨- إن تبغ السجائر يحتوى على مواد مشعة وإن تدخين عدد عشرين (٢٠) سيجارة بانتظام أسبوعيا يؤدى إلى إصابة الإنسان بجرعة إشعاعية.

---

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:

(أ) سمير عبدالحميد القطب أحمد: "الوظائف القيمية للتعليم الثانوى الفنى فى مصر فى سياق التغيرات الثقافية المعاصرة" الندوة العلمية الثانية لقسم أصول التربية بعنوان (التعليم المدرسى فى سياق التغيرات الثقافية المعاصرة) المنعقدة فى كلية التربية بكفرالشيخ - جامعة طنطا ، فى (٩ نوفمبر ، ١٩٩٨م) ، ص ٢٩.

(ب) وإقبال حسنى: "القضاء على أمراض البيئة - تعديل سلوك الشعب" ، جريدة الأهرام ، فى مصر ، الصادرة يوم الجمعة بتاريخ (٢١ نوفمبر ١٩٩٧م) ، ص ٦.

(جـ) هاشم أحمد محمود: "العالم غدا ٦٨ مليونا زيادة فى الأطفال سنويا" مجلة العلم ، ع (٢١١) ،(القاهرة، أكاديمية البحث العلمى ودار التحرير للطباعة والنشر ، إبريل ، ١٩٩٤م) ، ص ٤٨، ٤٩.

(٢)أحمد يحيى عبد الحميد:"العام الدراسى ..والثقافة البيئية"،جريدة الجمهورية،الأربعاء،(٢١ أكتوبر ١٩٩٨م)،ص ١٤.

٩- إن إلقاء نفايات وفضلات المصانع فى الأنهار والبحار يلوثها بالمعادن الثقيلة وأخطرها (الزئبق والرصاص) ؛ مما يؤثر على الأجنة وإصابة الأطفال بالتخلف العقلى والتسمم وأمراض الكلى والرئتين والعقم والسرطان فى المستقبل.

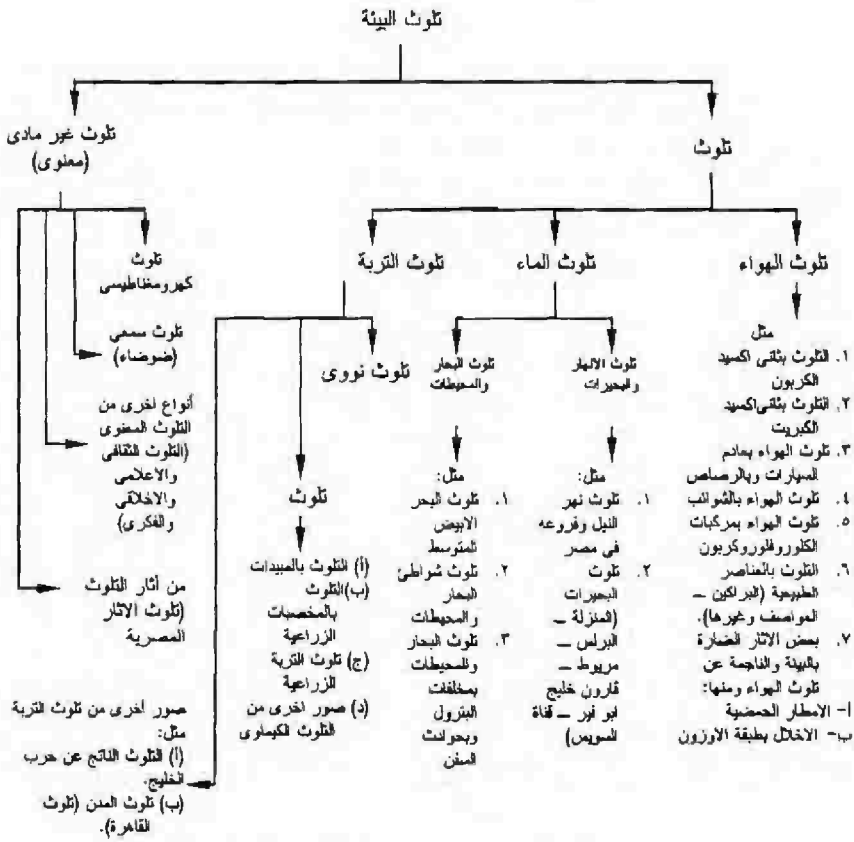

شكل (٢-١)* يوضح أقسام تلوث البيئة

* المصدر: محمد السيد أروناؤوط: الإنسان وتلوث البيئة ، ط١ ، (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٣م) ، ص٣٥.

هذه بعض الحقائق من أهم ملامح صورة مشكلات البيئة المقلقة التى يعانى منها العالم اليوم بصفة عامة وبلدان العالم الثالث الفقير والمتخلف بصفة خاصة. ولسوء هذا الواقع وبناء عليه تأتى أهمية الوعى بقضايا البيئة وتغير سلوك الأفراد نحوها وتنميتها والمحافظة عليها من خلال دراسة "التربية البيئية لمختلف الطبقات العمرية من خلال الأجهزة الرسمية والأهلية التطوعية التى تساهم فى تغيير اتجاهات الإنسان نحو البيئة"(١) أى لابد وأن تتغير مفاهيم ومعارف واتجاهات الناس عن البيئة بمعنى ضرورة إكساب الأفراد قدرا كبيرا من الثقافة البيئية التى تمهد للإنسان المعاصر، سبل مواكبة التغيرات الثقافية .الأيكولوجية.

٢- تغيرات ثقافية ـ سياسية.

لقد "شهد القرن العشرون ، وبخاصة فى نصفه الأخير، كثيرا من التغيرات وحركات التمرد التى أثرت فى عدد غير قليل من الأوضاع: الاجتماعية والسياسية والثقافية سواء على مستوى المجتمع الواحد أم على مستوى العالم ككل. وتتراوح هذه التغيرات بين انتهاء عصر الاستعمار وحصول كثير من المستعمرات على استقلالها إلى سقوط المعسكر الشرقى ، مما دفع [فوكوياما](*) أحد المفكرين الأمريكيين إلى إعلان (نهاية التاريخ)"(٢) ويبدو الآن أن الملمح "المثير على وجه الخصوص فى التغيرات السياسية الحالية ، هو مدى ما تحظى به الديمقراطية من شرعية ، حتى فى البلدان التى

(١) محمد يسرى إبراهيم دعبس: التربية الأسرية ، مفهومها .. طبيعتها وهدفها .. أبعادها .. تحدياتها ، سلسلة الأسرة التربوية (٢) ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٥م) ، ص ٢٧.

(*) من الآن فصاعدا كل ما بين القوسين [...] هو من صنع الباحث.

(٢) أحمد أبو زيد: "تحديات القرن الواحد والعشرين" مجلة العربى ، ع (٤٩٤) ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، (يناير ٢٠٠٠م) ، ص ٦٢.

كانت ترفض الديمقراطية"[١]. ومن أجل الديمقراطية "ظهرت حركات التمرد الاجتماعى التى اتخذت بعضها شكل ثورات عارمة وعميقة ، تتمثل فى ثورة الزنوج فى أمريكا للمطالبة بحقوقهم كمواطنين يتمتعون بكل متطلبات الحياة الكريمة مع النضاء على التفرقة العنصرية ، كما تتمثل فى ثورة النساء للمطالبة بالمساواة فى الحقوق والواجبات مع الرجل..."[٢]. وهذه التغيرات وحركات التمرد (الثورات) هى فى آخر الأمر تعبير صريح عن نمو الديمقراطية فى عصرنا والتى تعنى "بناء الحكم على الانتخاب الحر ومراقبة الحاكمين ، مع الفصل بين السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية"[٣] وقبول تعدد الأحزاب واحترام ميثاق حقوق الإنسان "الصادر فى (١٠ ديسمبر ١٩٤٨م)"[٤]. وإن كان من المؤسف والمبكى المضحك ، أن هذا الإعلان الدولى مشكوك فى تطبيقه وتوظيفه على أرض الواقع. من قبل الدولة العظمى "الولايات المتحدة الأمريكية" التى تبنت هذا الميثاق والتى مازالت بنوده ومواده شعارات جوفاء حيث لا يتعدى الإعلان فى جوهره غير حبر على ورق لأننا "نواجه مفارقه لافتة للنظر فى التعامل مع مسألة الديمقراطية ، حيث نعيش فى ظل ازدواجية مثيرة للقلق يجرى فى ظلها القبول بالديمقراطية على المستوى الوطنى أو القطرى ، بينما يتم الانقلاب على الديمقراطية فى المحيط الدولى ، الذى يحتكم فى حسم أموره إلى معيار القوة دون غيره ، فالقرار للأقوى والويل للضعفاء وأن كان أغلبية البشر والسكان وكبار الديمقراطيين فى بلدانهم هم أنفسهم عتاة المستبدين فى الساحة

(١) على كاز انسجيل: "عصر الديمقراطية" ، ترجمة:آمال كيلانى ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، ع(١٢٨) (القاهرة ، اليونسكو ، مايو ١٩٩١م) ، ص ٣ ، ٤.

(٢) أحمد أبو زيد: "تحديات القرن الواحد والعشرين" ، (مرجع سابق) ، ص ٦٢.

(٣) محمد عابد الجابرى: وجهة نظر ، نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربى المعاصر ، ط١ ، (بيروت ، لبنان مركز دراسات الوحدة العربية ، يوليو ١٩٩٢م) ، ص ١٢١.

(٤) موسوعة دائرة سفير للمعارف الإسلامية ، مج (٢١-٢٢) ، (القاهرة ، شركة سفير ، ١٩٩٠م) ، ص١٦٩٢.

الدولية"[١] الأمر الذى يعنى بوضوح أن التعامل مع الديمقراطية يتم على أساس مصلحى وذاتى خالص ، وليس على أساس أخلاقى.

فعلى الساحة الدولية فمازالت "الهيمنة الأمريكية مستمرة فى الحوار مع العراق ومع ليبيا... تفتيش على أسلحة الدمار الشامل فى العراق"[٢] وحرب تجويع من خلال حظر عليها دام لأكثر من تسع سنوات ، ومحاكمة قديمة لم تنته بشأن طائرة لوكاربى المتهمة بها ليبيا ، وأرض محتله فى فلسطين وسوريا ولبنان فى قبضة إسرائيل التى فرضتها بريطانيا على العرب فى عام ١٩١٧م عندما "أصدرت على لسان وزير خارجيتها وعد بلفور فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧م ، الذى نظر وقتها بعين العطف إلى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين"[٣] وإذلالها حتى أصبح هناك دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م نتيجة الهجرة الظاهرة أو الخفية التى سمحت بها بريطانيا حين ذلك.

وأضف على ما سبق هذه الحقائق والمعلومات عن عدم العدل أو عن ممارسة الديمقراطية الزائفة ما يلى:

- كشفت دراسة عن "أوضاع الأفرو أمريكان السود ، فاتضح أن النظام [الأمريكى] يسمح لهم بأن يبرزوا ويتفوقوا فى مجالات [محددة] مثل: الرياضة ، والموسيقى والرقص والمغنى ... ونادرا ما يصل أحد منهم إلى مركز مرموق فى المجالات

---

(١) فهمى هويدى: "الإسلام والديمقراطية" . مجلة المستقبل العربى ، س (١٥) ، ع (١٦٦) ، (بيروت - لبنان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ديسمبر ١٩٩٢م) ، ص ٧.

(٢) مصطفى محمود: كلمة السر ، سلسلة أخبار اليوم ، قطاع الثقافة ، عدد يناير ١٩٩٨م ، ص ١١٧-١١١٨.

(٣) سلمان أبو ستة: "تكبة فلسطين متى يمكن أن تزول؟" مجلة العربى ، ع (٤٩٨) ، وزارة الإعلام بدولة الكويت (مايو ٢٠٠٠م) ، ص ١٠٠.

الاقتصادية أو السياسية أو العلمية"(١) وناهيك عن الدراسات الأخرى الزائفة التى ترى فيها النتائج تكون دائما لصالح الأفراد البيض.

- "فى الثامن عشر من إبريل عام ١٩٩٤م تجمع ألفا مواطن فى (سراييفو) وهم يلوحون بعلمى: المملكة العربية السعودية وتركيا... بدلا من أعلام الأمم المتحدة أو حلف شمال الأطلنطى (*NATO*) فإن سكان (سراييفو) فى الحقيقة كانوا يعلنون عن توحدهم مع رفاقهم المسلمين"(٢).
- "وفى السادس عشر من أكتوبر لنفس العام (١٩٩٤م) سار سبعون ألف مواطن فى (لوس أنجلوس) تحت (بحر من الأعلام المكسيكية) يعلنون معارضتهم للاقتراح رقم (١٧٨)، وهو معيار استفتائى قد يحرم المهاجرين غير الشرعيين وأطفالهم من كثير من الميزات التى تمنحها الدولة"(٣).
- وفى الخامس من سبتمبر لهذا العام ٢٠٠١م تم إنسحاب الوفد الأمريكى من المشاركة فى مؤتمر "مكافحة العنصرية" الذى عقد فى "دربان" بجنوب أفريقيا (الدول المضيفة) بعد إتهام ووصف إسرائيل بأنها دولة عنصرية من قبل معظم وفود الدول المشاركة. الأمر الذى ترتب عليه شعور تلك الدول بالأهانة من حقيقة الموقف الأمريكى المتحيز لأسرائيل. على الرغم من فظاعة الممارسات الوحشية التى تمارسها إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى الأعزل!! وكل هذه المقتطفات السابقة ما هى إلا مجموعة من الشواهد تؤكد حقيقة واحدة ألا وهى: أن تحقيق مبادئ

---

(١) شريف شحاته: "صراع الحضارات أم حوار الثقافات؟" أوراق ومداخلات المؤتمر الدولى حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات، المنعقد فى القاهرة فى الفترة من (١٠-١٢) مارس، (القاهرة، مطبوعات التضامن، ١٩٩٧م) ص ٢٢٤.

(٢) صامويل هنتجتون: صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمى، ترجمة: طلعت الشايب، وتقديم: صلاح قنصوة، (د-ن)، ١٩٩٨م، ص ٣٥.

(٣) (المرجع السابق)، ص ٣٦.

الديمقراطية وميثاق حقوق الإنسان مازالت وهمية ، وإن تحقيقها يتم بشكل جزئي وغير شامل. ووفقا لقانون المنطق ما ينطبق على الجزء ليس بالضرورة ينطبق على الكل ، وأن كان العكس هو الصحيح والأصلح. ولذا فليس بالغريب أن يكون شعار الديمقراطية(*) هو أكثر الشعارات الرائجة اليوم فى ساحة (المطالب الشعبية) فى الوطن العربى ، والمجتمع المصرى ليس بعيد عن هذه التغيرات السياسية فالتطور الحقيقى للسياسة المصرية واتجاهها نحو الديمقراطية حدث بعد انتصار عام ١٩٧٣م ، وحتى إعلان عودة الأحزاب السياسية فى ديسمبر ١٩٧٦م ، وأصبح يوجد عنصر التعددية الحزبية والمنافسة السياسية فى ظل الدستور "القانون الأعلى فى المجتمع السياسى [الذى يحدد] نظام سلطات الدولة وحقوق الأفراد فيها وواجباتها"(١) ، كما هو الحال مثلا فى "الدستور المصرى . دستور عام ١٩٧١م والذى ينص صراحة فى المادة (٦٤) منه على أن (سيادة القانون أساس الحكم فى الدولة) وفى المادة (٦٥) منه ينص على "أن الدولة تخضع للقانون"(٢) وبذلك تبدو "صيغة عصر الديمقراطية على الفور وكأنها حقيقة رغم أنها تنطوى على درجة كبيرة من الخيال والأمانى"(٣) لوجود عدد من المعضلات السياسية التى تواجه تطور العمل السياسى فى مصر منها ما يلى(٤):

- الضعف التنظيمى للأحزاب السياسية رغم تعددها.

(*) الديمقراطية: فى أصلها اللغوى تعود إلى كلمتين يونانيتين وهى (ديموس) وتعنى الشعب والثانية (كراتوس) وتعنى حكم ، أى أن المعنى الحرفى للديمقراطية هى (حكم الشعب).

(١) أحمد الرشيدى: الدستور ، سلسلة المعارف ، ع (٧) ، (القاهرة ، المكتب العربى للمعارف ، ١٩٩٥م) ، ص ٣.

(٢) موسوعة مصر الحديثة: الحكومة والنظام السياسى ، المجلد الأول ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب وزارة الثقافة بالتعاون مع ورلدبوك إنك ، ١٩٩٦م) ، ص ٩ ، ١٠.

(٣) جى هيرميت: "هل هو عصر الديمقراطية" ، ترجمة: سعاد الطويل ، المجلة الدولة للعلوم الاجتماعية ، ع (١٢٨) (القاهرة ، اليونسكو ، مايو ١٩٩١م) ، ص ٥.

(٤) سمير عبدالحميد القطب: "الوظائف القيمية للتعليم الثانوى الفنى فى مصر فى سياق التغيرات الثقافية المعاصرة" (مرجع سابق) ، ص ٢٧.

- قضية التمثيل السياسى لكافة التيارات السياسية،وضمان الاستقرار السياسى.
- قضية المشاركة السياسية.

ونجد أن "مشاركة النساء فى هيئات وضع القرارات السياسية محدودة [وحتى الآن] فمازال المصريون ينظرون إلى السياسة على أنها مجال الرجال فقط ، والنساء مازلن يفتقدن الفرصة المتساوية للنفاذ إلى هيكل السلطة التى تشكل المجتمع المصرى"(١) وتؤكد الأرقام ذلك حيث بلغ "عدد الإناث فى مجلس الشعب عشر فقط ، وفى الوزارة اثنتان"(٢) وهذا ما جاء فى تقرير التنمية البشرية فى مصر عام ١٩٩٥م. ولذلك نطالب التربية ومؤسساتها التعليمية بتزويد النشء بقدر من التربية السياسية منذ نعومة أظافرهم والتى تعنى "تنمية الوعى بنظام الحكم ومشكلاته والقدرة على المشاركة السياسية... الخ"(٣) من خلال مشاركتهم فى عمل الانتخابات الحرة الديمقراطية لتشكيل أمين الفصل ومساعدة وتكوين مجلس اتحاد الطلاب والمشاركة فى جماعات الأنشطة المختلفة بالمدرسة خصوصا جماعة أصدقاء المكتبة ، لتعوديهم على الحياة السياسية منذ الصغر.

٢- تغيرات ثقافية ـ اقتصادية.

على الصعيد الاقتصادى ، حدثت أيضا تغيرات هامة سوف نتعرض لتحليلها فى سياق الحديث ففى الحقيقة منذ أن "وجد الإنسان على ظهر الأرض وهو يسعى لكى يكسب عيشه ويؤمن بقاءه"(٤) وهذا ما جعل "ماسلو"(*) أن يجعل الغذاء واحد من ضمن

---

(١) تقرير التنمية البشرية فى مصر عام ٩٥ ، (القاهرة ، معهد التخطيط القومى ، ١٩٩٥م) ، ص ٥٩.

(٢) (المرجع السابق) ، ص ١٧.

(٣) محمود أحمد عبدالغنى: "دور الصحف الحزبية فى التربية السياسية لشباب الجامعات ، دراسة ميدانية على عينة من شباب الجامعة بسوهاج" ، مجلة كلية الآداب ، الجزء الأول ، ع (١٨) ، جامعة سوهاج ، (فبراير ١٩٩٥م) ، ص ١٩٨ ، ١٩٩.

(٤) مجدى صبحى: النظم الاقتصادية ، سلسلة المعارف (١٧) ، (القاهرة ، المكتب العربى للمعارف ، ١٩٩٥م) ، ص ٣.

(*) اقترح ماسلو (١٩٧٠م) أن الإنسان لديه نظام هرمى للحاجات مكون من خمسة أنظمة أساسية مرتبة حسب أهميتها وبدأ بالحاجات الفسيولوجية التى تقع فى القاعدة وهى المأكل والملبس والهواء والجنس... ثم انتقل إلى الحاجات الأخرى وهى: الأمن والحب وانهى تحقيق الذات فى قمة الهرم [المصدر: صلاح الدين محمد ، أسس التعليم ونظرياته ، (القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩١م) ، ص ٦٧-٦٨].

الحاجات الفسيولوجية (الجوهرية) فى قاعدة تصنيفه الهرمى لحاجات الإنسان. ولدراسة تلك الحاجة تأسس علم الاقتصاد: "العلم الاجتماعى الذى يتناول تحليل الأنشطة التجارية وكيفية تقديم الخدمات وتوريد البضائع... ودراسة رغبات المستهلكين نحو السلع المقدمة لهم"(١) وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية "بدأ علماء الاقتصاد يلتفتون إلى المشكلات التى يعانى منها العالم الثالث ولا سيما انخفاض مستويات معيشة مواطنيه... وفى دراسة هذه الأمور تأسس فرع جديد فى علم الاقتصاد ، هو دراسة التنمية"(٢) للتخلص من الفقر وتحسين مستويات المعيشة للأفراد وفى البداية كان يتم "التعبير عن النمو الاقتصادى على أساس أنه تحقيق زيادة فى نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالى"(٣) (انظر الجدول التالى).

جدول (٣-١)(*)

دليل التنمية البشرية المعد حسب توزيع الدخل فى بعض الدول عام ١٩٩٣م

الدولة	قيمة دليل التنمية البشرية المعد حسب توزيع الدخل	الدولة	قيمة دليل التنمية البشرية المعد حسب توزيع الدخل
اليابان	٠,٩٧٩	فرنسا	٠,٩٣٦
هولندا	٠,٩٦٤	إسرائيل	٠,٩١٣
السويد	٠,٩٥٧	سوريا	٠,٦١٧
سويسرا	٠,٩٥٧	تونس	٠,٥٦٦
النرويج	٠,٩٥٦	مصر	٠,٣٧٣

(١) The world Book encyclopedia, "Economics", world Book, Internianal, London Sydneytanbridge weells chicago, E.Vol6, p. 59.

(٢) مجدى صبحى: التنمية الاقتصادية ، سلسلة المعارف،(١٨)،(القاهرة،المكتب العربى للمعارف،١٩٩٥م)ص ٣ ، ٤.

(٣) (المرجع السابق) ، ص ١٢.

(*) تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٢م ، مطبعة اكسفورد ، الولايات المتحدة ، ترجمة: مركز دراسات الوحدة العربية بيروت - لبنان ، ١٩٩٢م ، ص ٩٣.

ولما كان مقياس متوسط الدخل (نصيب الفرد) من الناتج القومى يعد مضللا لأنه يتجاهل المؤشرات الأخرى ، خذ مثلا الصين فمتوسط دخل الفرد فيها (٤٧٠) دولارا وقد حققت إنجازات ملموسة أفضل سواء على صعيد مكافحة الأمية ، وارتفاع توقعات العمر عند الميلاد أو انخفاض معدل وفيات الأطفال أقل من خمس سنوات ... مقارنة مع بلد آخر مثل مصر التى بالرغم من ارتفاع متوسط نصيب الفرد المصرى من الناتج المحلى عن الصين ، إلا أنها تتسم بمعدل مرتفع نسبيا من الأمية ، ومعدل مرتفع لوفيات الأطفال أقل من خمس سنوات. ويوضح الجدول الآتى (٢-٢) مؤشرات التنمية فى عدد من البلدان منخفضة الدخل لعام ١٩٩٢م[١]:

جدول رقم (٢-٢)

مؤشرات التنمية فى عدد من البلدان منخفضة الدخل فى عام ١٩٩٢م

البلد	متوسط نصيب الفرد من الناتج القومى الإجمالى (مليون دولار)	نسبة مساهمة الزراعة فى الناتج المحلى٪	توقع العمر عند الميلاد (بالسنوات)	معدل الأمية (٪) من السكان	معدل وفيات الأطفال أقل من (٥) سنوات (لكل ألف)
الهند	٣١٠	٣٢	٦١	٥٢	٧٩
الصين	٤٧٠	٢٧	٦٩	٢٧	٣١
سيرى لانكا	٥٤٠	٢٦	٧٢	١٢	١٨
مصر	٦٤٠	١٨	٦٢	٥٢	٥٧

وفى ضوء ما سبق إذن لا تعنى التنمية مجرد زيادة نصيب الفرد من الناتج القومى ، وإنما تشمل ، إلى جانب ذلك ، على ضرورة تنويع الهيكل الاقتصادى ، والتحسين

(١) مجدى صبحى: (مرجع سابق) ، ص ١٣.

فى الكثير من المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية ... الخ ، وبذلك يكون "البلد المتخلف اقتصاديا هو البلد الذى لا يستغل موارده الإنسانية والأولية استغلالا كاملا"(١). وقد يكون من المفيد الإشارة إلى الحتميات الاثنتى عشرة (*The Twelvemusts*) للتنمية الاقتصادية التى وضعها "جواد فرنك داكوستا" الأمين العام لمنظمة *UNCSTD* وهى(٢):

١- أن تكون تنمية شاملة اقتصادية واجتماعية ثقافية.

٢- أن تكون تنمية أصيلة بمعنى انطلاقها من واقع المجتمع نظرا للاختلافات بين المجتمعات.

٣- أن تكون التنمية مقررة بشكل ذاتى.

٤- أن تكون التنمية قائمة على الاعتماد الذاتى أو التعاون الأفقى بين الدول النامية أو التعاون الثنائى بحيث تشترك فيها الدول المتقدمة.

٥- أن تكون التنمية متكاملة بحيث تشمل القطاع الصناعى والزراعى ... الخ بشكل متكامل مع نظام التعليم والتدريب.

٦- أن تكون التنمية قائمة على أساس احترام البيئة الطبيعية والثقافية.

٧- أن تكون التنمية مخططة.

٨- أن تكون التنمية موجهة نحو نظام اجتماعى عادل ومحقق للمساواة.

٩- أن تكون التنمية ديمقراطية إذ أن أهداف المجتمع ليست كلها علمية وثقافية ، ولا يجب أن يسمح للعلم والتقانة بإدعاء السيطرة والحكم.

---

(١) محمد فريد حجاب: "أزمة الديمقراطية الغربية ، وتحدياتها فى العالم الثالث" ، مجلة المستقبل العربى ، ع(١٧٤) (بيروت - لبنان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، يوليو ١٩٩٣م) ، ص ٨٢.

(٢) Robin Clarke, Science and Technology in world Development Anopus Book (Oxfordshire); (New York University UNESCO, 1985), pp. 36-64.

١٠- أن تكون التنمية فى جميع المناطق ، بمعنى عدم عزل المناطق الأقل تطورا عن نطاق التنمية.

١١- أن تكون التنمية إبداعية وخلاقه ، لا تعتمد على التقنيات القديمة أو على استيراد التقانيات المتقدمة جدا.

١٢- أن يكون تخطيط التنمية قائما على أساس مفهوم حقيقى وواقعى للحاجات الوطنية.

ولتحقيق التنمية فقد تنوعت النظم الاقتصادية بين الدول ، ولفترة طويلة من تاريخ القرن السابق ، "تركزت المناقشات الاقتصادية حول أيهما أفضل فى مجال تنظيم اقتصاديات الصناعة الحديثة: الرأسمالية أم الاشتراكية؟ ويبدو الآن أن هذا الجدال قد انتهى بتحرك أوروبا الشرقية بسرعة فى اتجاه آليات السوق وترنح الاقتصاد السوفيتى على حافة الهاوية"(١). وبعد أن أصبح الشرق أسيوى الأكثر نجاحا وخاصة دول النمور الاقتصادية "فاليابان الآن تحقق ثانى أكبر متوسط لنصيب الفرد من الناتج فى العالم بعد سويسرا. وتتفوق فى ذلك على الولايات المتحدة الأمريكية"(٢)،وفى سنة١٩٩٣م أعلن البنك الدولى عن أن "الاقتصاد الصينى سيصبح الأكبر فى العالم فى أوائل [هذا] القرن الحادى والعشرين"(٣) وبذلك يكون المتوقع أن الاقتصاديات المتقدمة سيكون معظمها أسيوى. ولو انتقلنا من الحديث عن الدول المتقدمة إلى الحديث عن الدول المتخلفة،أو بعبارة أخرى من الدول ذات التنمية البشرية(العالية/المرتفعة الدخل/الصناعية/الشمالية) إلى الدول ذات

(١) لستر.ر.براون وآخرون: تقييم ١٩٩١م عن وضع العالم ، ط١ ، ترجمة: أنور عبدالواحد وإنجى زين العابدين (القاهرة ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، ١٩٩٢م) ، ص ٢٥٥.

(٢) مجدى صبحى: التنمية الاقتصادية ، (مرجع سابق) ، ص ١٣.

(٣) صامويل هنتنجتون: صدام الحضارات... إعادة صنع النظام العالمى ، (مرجع سابق) ، ص ١٧١.

التنمية البشرية (متوسطة الدخل/أو منخفضة الدخل/أو أدنى من ذلك/ النامية أو الأقل نموا/الجنوبية). سوف نجد هناك "الاقتصاديات الفقيرة المنهارة فى الدول النامية (الدخول تمثل ١٥٪ فقط من الدخل العالمى)"(١) ووصلت ديونها وبلغت "١,٧٧ ألف مليار (١,٧٧ × ١٠^١٢) دولار أمريكى عام ١٩٩٣م... وتنفق سنويا فى خدمة ديونها أكثر مما تنفقه فى النواحى العسكرية وهذا استنزاف مفتضح للموارد"(٢) والمؤسف أن العالم الثالث مدين بما يساوى نصف دخله السنوى! وفى المقابل نجد الشمال المتقدم الذى يتمتع بنصيب الأسد فى الصادرات وجاء "فى تقرير التنمية البشرية الذى أصدره البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة عام (١٩٩٩م) أن (٢٠٪) من سكان الأرض يحوزون على (٨٦٪) من الناتج المحلى للعالم"(٣)

وبحصر أسباب (عوامل) التخلف الاقتصادى فى هذه الدول (النامية) وجدت كما يلى(٤):

١- قلة الخبرة الفنية ، فقد حرص المستعمر على ذلك.

٢- عدم توافر رؤوس الأموال الوطنية ، وأدى ذلك لارتفاع ديون العالم الثالث باستمرار.

٣- ارتباط الاقتصاد للدول النامية باقتصاد الدول الاستعمارية السابقة.

٤- قصور وسائل النقل والمواصلات والاتصالات.

---

(١) طلعت إبراهيم الأعوج: التلوث الهوائى والبيئة ، سلسلة العلم والحياة ، ط١ ، الجزء (٢) ، ع (٣٨) ، (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م) ، ص ٢١.

(٢) ليستر براون وآخرون: العلامات الحيوية ١٩٩٤م ، ترجمة: سيد رمضان شرارة ، ط١ ، (القاهرة ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، ١٩٩٦م) ، ص ١٠٢.

(٣) محمود المراغى: "أرقام ، تناقض الأمم!" مجلة العربى ، ع (٤٩٨) ، (الكويت ، وزارة الإعلام بدولة الكويت مايو ٢٠٠٠م) ، ص ٧٧.

(٤) شوقى الجمل وعبدالله عبدالرازق إبراهيم: تاريخ مصر المعاصر ، ط١ ، (القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٩٧م) ، ص ١٦٤.

and: Miekel Tadaro: Economic Development in the their world (New York, Longman INC, 1990), p. 27.

٥- تحكم الدول الصناعية فى أسعار المواد الخام وعلى رأسها (النفط) البترول.

٦- تخلف أدوات وأساليب الإنتاج ، وبالتالى انخفاض مستوياته.

٧- الاعتماد الرئيس على قطاع الزراعة ، وعلى صادرات المواد الأولية والخامات.

٨- ارتفاع معدلات النمو السكانى ، ومعدلات الإعالة.

٩- ارتفاع معدلات البطالة ، والاستخدام العشوائى للقوى العاملة.

١٠- قلة الإنفاق على التعليم وقصور فى النظام التعليمى.

١١- ضعف الارتباط بين الهيكل التعليمى واحتياجات واقع سوق العمل.

مما سبق نصل إلى حقيقة مؤداها إنقسام العالم إلى عالمين وهما: عالم النخبة وهم قلة من البشر (١٢٪ سكان أوربا عام ٢٠٠٠م) يتمتعون بالنصيب الأكبر من الثروة والمعرفة والتكنولوجيا والإنتاج ، وكثرة من البشر يزحفون نحو التقدم بالكاد ، ويموت بعضهم جوعا ومرضا وجهلا. وهم العالم الآخر. وتزداد حدة التوتر فى العالم الذى ينقسم الآن إلى عالمين رغم ما يستهدفون من عولمة تفتح الحدود وتصبح واقعا جديدا وهو الكل فى واحد!.

ولقد حدثت تغيرات متلاحقة فى الاقتصاد العالمى ترتب عليها تغيرات مناظرة فى التشكيل الثقافى للأفراد ، فلقد ساد اقتصاد السوق ، وتراجعت النظريات الاشتراكية وازدادت التكتلات الاقتصادية العالمية بما تحمله من قدرة على التميز فى الإنتاج والمنافسة.

ومن هذه التكتلات: تكتل أمم جنوب شرق آسيا وهو ما يسمى "الأسيان" *ASEN* ويشمل الدول الآتية: (بروناى ، وأندونيسيا ، وماليزيا ، والفلبين ، وسنغافورة ، وتايلاند وفيتنام) وهو تكتل منافس لكل من اليابان وكوريا ، وتكتل "نافتا" *NAFTA* منطقة

التجارة الحرة الذى يجمع بين أمريكا وكندا والمكسيك فى منطقة جمركية واحدة ، وتكتل مجموعة جنوب آسيا وتضم الهند وباكستان وبنجلادش وسيرلانكا ونيبال"(١).

هذا بالإضافة "إلى تجمع السوق المشتركة لدول شرق وجنوب أفريقيا المعروف بـ (الكوميسا) وتقع مصر ضمن هذا التجمع وعقد فيها المؤتمر الاقتصادى الاقليمى الأول فى نهاية شهر مارس عام (٢٠٠٠م)"(٢) ويضاف إلى ذلك التغيرات الاقتصادية "سيطرة وتولى وهيمنة صندوق النقد الدولى والبنك الدولى على ميادين التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتولى تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادى وفرض شروطه فى الدول النامية"(٣) إلى جانب "اتفاقية الجات GATT(*) ومنظمة التجارة الحرة التى سوف تعمق الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة"(٤) ولذلك يرى بعض المفكرين بأنه سوف تكون الحرب التجارية العالمية... البديل الجديد للحرب الباردة. والمجتمع المصرى ليس بعيدا عن النمو والتقدم الاقتصادى فمصر تسير فى سياسة برنامج الإصلاح الاقتصادى الذى طبق منذ عام ١٩٩١/٩٠م ، حيث أن "الاقتصاد المصرى عانى خلال العقود الثلاثة الماضية (١٩٦٠-

---

(١) سمير عبدالحميد القطب: "الوظائف القومية للتطوير التكنولوجى فى مصر فى سياق التغيرات الثقافية المعاصرة" ، (مرجع سابق) ، ص ٢٧.
وصامويل هنتجتون: صدام الحضارات ، إعادة صنع النظام العالمى ، (مرجع سابق) ، ص ٢١٢-٢٢٠.

(٢) إبراهيم نافع: "نحن والكوميسا ونظرة جديدة لإفريقيا" جريدة الأهرام بمصر ، ط٢ ، س (١٢٤) ، ع (٤١٣٦٠) ، الجمعة ، ٣ مارس ٢٠٠٠م ، ص ١.

(٣) موسوعة مصر الحديثة: الاقتصاد ، مج (٢) ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وزارة الثقافة بالتعاون مع ورلدبوك إنك ، ١٩٩٦م) ، ص ١١٧-١١٨.
and: Patrick dunleavy and Brendano'Leary: Theoriesaf the state, (London, Nocmillon, 1987), pp. 72-135.

(*) هى اختصار لإسم (الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة) ، وهى بمثابة معاهدة دولية ولقد أبرمت هذه المعاهدة فى عام ١٩٤٧م وبدأ سريانها منذ أول يناير ١٩٤٨وتحتوى على مجموعة من المبادئ والمواد المنظمة للعمل.

(٤) أسامة المجذوب: الجات ومصر والبلدان العربية من هافانا إلى مراكش ، ط١ ، (القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٦م) ، ص ٩-٧٣.

هذا الصدد: "لو كانت الأخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ، ويقول إنه ما كان من الممكن تغيير طباع الحيوان بالتدريب والتهذيب"(١) وبذلك يكون تعديل طباع الإنسان وسلوكياته أمر ممكن وميسور بالتربية وحول تأثير تكنولوجيا النسل الجديدة على العلاقات الأسرية فتؤكد الدراسات على أن "نتائج علم الهندسة الوراثية ، خاصة عملية الاستنساخ الحيوى البشرى ستحدث آثارا خطيرة على كيان الأسرة واستقرارها لأنها سوف تؤدى إلى تهديد حفظ النوع ، واختلاط الأنساب ، والتفكك الأسرى"(٢) ولذلك أصبح هناك رعب من استنساخ البشر الذى يشغل فكر شعوب العالم عامة ، والشعب الأمريكى(*) ودول أوروبا خاصة ، ويمكن إيجاز الحقائق المؤسفة حول انعكاس تقنيات الهندسة الوراثية فيما يلى(٣):

- سيكون الاستنساخ أحد البدائل الشائعة للإنجاب فى القرن الحادى والعشرين.
- لن تحتاج الإنثى بعد الآن للرجل لتحصل على طفل.
- الوراثة التناسلية ستمكن الأباء من انتقاء الصفات التى يريدون استمرارها فى أبنائهم وذلك بإضافة المرغوب وإزالة غير المرغوب من الجينات [إنسان حسب الطلب].
- ستمكنا الوراثة التناسلية من الحصول على طفل وبالمواصفات التى نريدها.

---

(١) عبدالفتاح تركى موسى: التنشئة الاجتماعية ، منظور إسلامى ، ط١ ، (الاسكندرية ، المكتب العلمى للنشر والتوزيع ١٩٩٨م) ، ص ٧٥.

(٢) عصام الدين على هلال: المتطلبات التربوية للانتخاب الاصطناعى ، دراسة نقدية ، المؤتمر الثانى للعلوم التربوية والنفسية ، كلية التربية بكفرالشيخ فى الفترة من (١٤-١٦) أكتوبر ١٩٩٥م ، ص ١٤ ، ١٥.

(*) لأنه شعب معظمه لا يعتنق الدين الإسلامى ، ويعتبر الحرية الجنسية وغيرها أحد الحقوق للإنسان.

(٣) محمد عبدالحميد شاهين: "رعب استنساخ البشر" ، مجلة العربى ، (الكويت ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ع (٤٩٣) ، ديسمبر ١٩٩٩م) ، ص ١٣٤ ، ١٣٥.

- الزواج الذى يجمع بين أنثى وأنثى (مصرح به فى بعض دول العالم) سيمكن أصحابه من الإنجاب.

ويتضح لنا مدى ما سوف "يسببه الاستنساخ البشرى من خلل فى العلاقات والروابط الاجتماعية والعاطفية ، بل قد يصل الأمر إلى إلغاء عاطفة الأبوة أو الأمومة ، ومن شأن ذلك كله أن ينعكس بالسلب على الطفل المستنسخ"(١) ولذا أخذت فكرة احتمال استنساخ البشر تتأكد وتتأصل فى وعى ضمير الناس ، لتظهر ردود أفعال متضاربه بين العلماء والفلاسفة ورجال الدين والقانون ، وكثرت الجبهات المعارضة للاستنساخ البشرى "لأنه يعتدى بل ويضرب بعنف كل القواعد والنظم التى تحكم العلاقات الصحيحة ، ليس فقط بين الرجل والمرأة ، أو بين الزوج والزوجة ، أو بين الأباء والأبناء أو بين الجنسين والإنجاب ، بل هذا هو الأخطر بين الإنسان وربه . بين الإنسان وخالقه"(٢) وفى النهاية سيبقى "الضمير الإنسانى هو الأساس الهام من أسس تربية الخلق [وسيبقى الإسلام] الدين الشامل الجامع لكل الديانات ومثلها وقيمها"(٣) حقا "إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ..."(٤).

فى ضوء التحليل السابق لمجموعة التغيرات والتحولات العميقة التى سيشهدها العالم على الأصعدة الثقافية والسياسية والاقتصادية والثورة المعلوماتية وإتساع ظاهرة العولمة وثقافة الانترنت ، ستنعكس دون شك على العملية التعليمية وواجب على الإنسان لكى يستطيع أن يتعايش مع الواقع ويعمل بفاعلية فى عالمنا المعاصر ، وجب عليه أن يلم

---

(١) محمود حمدى زقزوق: الإسلام فى عصر العولمة ، سلسلة قضايا إسلامية ، ط١ ، العدد (٥٣) ، (القاهرة ، وزارة الأوقاف ، ١٩٩٩م) ، ص ٥٠.
(٢) محمد عبدالحميد شاهين: "رعب استنساخ البشر" ، (مرجع سابق) ، ص ١٣٦.
(٣) عبدالفتاح تركى موسى: التنشئة الاجتماعية ، منظور إسلامى ، (مرجع سابق) ، ص ١٥٤ ، ١٥٥.
(٤) القرآن الكريم: سورة آل عمران ، من الآية: (١٩).

الرأسمالية على المستوى العالمى ، وذلك بتقديم العمل الأمبريالى كدور حضارى وتقديم النموذج الرأسمالى كنموذج كونى"[١] ومفهوم الثقافة من أكثر المفاهيم صعوبة وتعقيدا بالرغم من كثرة التعريفات التى وضعت له ويكفى أن نذكر هنا "أنه فى عام (١٩٥١م) حاول عالمان وهما (كروبر وكلاكهون) من حصر التعريفات المتاحة حين ذاك فوجدا أنها تزيد على مائة وخمسين تعريفا"[٢] وأكثرها ذيوعا تعريف "إدوارد تايلور" لقيمته التاريخية وتعنى من وجهة نظره "كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق ، والقانون ، والعرف ، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التى يكتسبها الإنسان ، باعتباره عضوا فى المجتمع"[٣] ولقصور هذا التعريف وارتكازه على العناصر المعنوية (اللامادية) لحياة الناس ، فقد أدى ذلك لفتح باب الاجتهاد للمفكرين وظهر تعريف المفكر "روبرت . بيرستد" ورأى أن "الثقافة هى ذلك المركب الذى يتألف من كل ما نفكر فيه ، أو نقوم بعمله ، أو نمتلكه كأعضاء فى المجتمع"[٤] وأبرز هذا التعريف الصيغة التأليفية للثقافة ، لتصبح ظاهرة مركبة من عناصر بعضها فكرى وبعضها مادى ويمكن القول بأن المفهوم "والكلمة على أية حال ، تشمل المعرفة بأحوال الكون والحياة ، والنظر إليهما معا... وكل ما يساهم فى خلق موقف إنسانى من الحياة والكون ككل فهى إذن موسوعية غير متخصصة"[٥] وبذلك "حدت الثقافة فى مفهومها الأمثل أنها المحتوى الفكرى والفنى للحضارة ، وربما أجاز مريدو الفكر والفن ذلك ، فكادوا يجعلون الثقافة

---

(١) سمير عبدالحميد القطب: "الوظائف القيمية للتعليم الثانوى الفنى ..." ، (مرجع سابق) ، ص ٦٦.
(٢) موسوعة الشروق: (عربية ، إسلامية ، عالمية) ، المجلد الأول ، (القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٤م) ، ص ١١٨.
(٣) مايكل طوممون وآخرون: نظرية الثقافة ، ترجمة: على سيد الصاوى ، سلسلة عالم المعرفة ، ع (٢٢٣)، (الكويت وزارة الإعلام والثقافة ، يوليو ، ١٩٩٧م) ، ص ٩.
(٤) (المرجع السابق) ، ص ١٠.
(٥) إبراهيم عصمت مطاوع: "التكامل الثقافى بين العلوم والفنون والآداب" ، مجلة صحيفة التربية ، س (٤٩) ، ع (٣) (القاهرة ، رابطة معاهد وكليات التربية ، مارس ١٩٩٨م) ، ص ٢١.

والحضارة سواء"[١] والمشكلة فى حد ذاتها تتعدى أن ندرك الفرق بين مفهومى الثقافة والحضارة - أو حتى مفهوم الثقافة والمدنيه ، بقدر ما أعنيه حول المشكلة الحقيقية المتعلقة بقضية المحافظة على الهوية الثقافية [من نحن] وكيفية التعامل "والتفاعل ما بين ثقافتنا القومية ذات الهوية العربية الأصيلة ، والثقافات الأخرى فى العالم [إلى أين نسير؟!]"[٢] والخوف كل الخوف إذا كان الإقدام على ثقافة الغير دون وعى ننهل منها كل شئ ، حيث نسمع الآن عن الثقافة العالمية والغزو الثقافى والهيمنة والتبعية الثقافية ، وعمليات غسيل المخ لدول الشمال المتقدم (أمريكا على رأسها) ومحاولة فرض سيطرتها على دول الجنوب (المتخلف) هذا على الإطار العالمى أما على الصعيد المحلى فهناك مشكلات تتعلق بموضوع "السمة المميزة لحال ثقافتنا ككل فهى (الانفصام) على كافة المستويات فعلى المستوى الرأسى نجد التباعد الشديد بين ثقافة (النخبة) وثقافة (العامة) من أبناء وطننا. وهو تباعد يتأكد بغيبة لغة الحوار والتواصل بين الثقافتين... أما على المستوى الأفقى فإن ظاهرة الانفصام تتمثل فى الطبيعة اللامتجانسة وغير المتسقة التى تسود الحال الثقافى للنخبة"[٣] وهو انفصام يتبدى على كافة المستويات بدءا من الجماعات والتشكيلات الثقافية وانتهاء بالفرد الواحد. وهو أمر يعكس غيبة النموذج الإرشادى. وعن كوكبة العقول يقول محمد عامر أحد المفكرين المصريين "فى الستينات كنا على وعى بموضوع استنزاف العقول فكثير ما كان أعداؤنا يلجأون إلى العمليات العسكرية لضمان استمرار استنزافهم إيانا. أما الآن فقد كفاهم الغزو الثقافى مؤونة هذه العمليات ، ففى عصر الكوكبة صرنا نجد فى استنزاف عقولنا خدمة للإنسانية ، وصرنا نرى فى عقولنا المستنزفه مثلا أعلى

(١) الطاهر لبيب وآخرون: الثقافة والمثقف فى الوطن العربى ، سلسلة كتب المستقبل العربى (١٠) ، ط١ ، (بيروت - لبنان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ديسمبر ١٩٩٢م) ، ص ٩.

(٢) موسوعة مصر الحديثة ، الثقافة ، المجلد (٨) ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وزارة الثقافة بالتعاون مع ورلدبوك لنك ، ١٩٩٦م) ، ص ٢٢.

(٣) السيد نصر السيد: إطلالات على الزمن الآتى ، سلسلة مكتبة الأسرة ، ط١ ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م) ، ص ١٢٠ ، ١٢١.

وقدوة"[١] نحتذى بها ، حقا إنها الحرب الجديدة بسيل من المعلومات... إذن الصراع الذى نعيشه اليوم هو صراع ضد المعلومات المزيفه[*] القادمة إلينا من الكونية العالمية الإعلامية التى تعمل على (ضرب) الخصوصيات الثقافية عن طريق "وسائل الإعلام السمعبصرية من خلال البث المباشر تقوم بدور مركزى فى اختراق منظومة القيم الثقافية لدول الجنوب من خلال المسلسلات والأفلام ، وبرامج المنوعات الأمريكية خصوصا فى ظل عدم الالتزام بالمواثيق الدولية... المختلفة ، وأبرز هذه المواثيق ، إعلان اليونسكو عام ١٩٧٨م ، وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٨٢م"[٢] والذى نص على ضرورة التزام البرامج المبثوثة عبر الأقمار الصناعية باحترام الطابع المميز للثقافات المختلفة. وفى الحقيقة أن هذا الغزو الثقافى يحدث الآن بدرجات متفاوته فى كل مكان فى العالم ، فأغلب دول أوربا تعانى أيضا ، مثل بقية بلدان العالم . ولو بشكل نسبى . من الاحتكار الثقافى الذى تمارسه الولايات المتحدة الأمريكية على العالم . حتى وصل الاختراق إلى قلب "باريس" عاصمة فرنسا وأدت بالرئيس الفرنسى إلى التصريح بضرورة فرض قيود على دخول الفيلم الأمريكى ، خوفا على القومية الفرنسية والهوية الفرنسية"[٣] وأدت لتبنى مثقفى فرنسا مصطلح "الاستثناء الثقافى" ليتصدوا به لاتفاقية الجات ، فيما يتصل بالجانب الثقافى والفنى على وجه التحديد. وتأثرت ثقافتنا أيضا سلبيا من خلال "عرض الأفلام الأجنبية والكتب السوقية التى تتناول الجنس فى المكتبات العامة والشوارع ، ومن خلال نشر

---

(١) محمد عامر: "كوكبة العقول" ، جريدة الأهرام المصرية ، (القاهرة - مطابع الأهرام ، الجمعة ، بتاريخ ١٩٩٩/١١/٢١م) ، ص٩.

(*) ولنأخذ المثل والعبرة مما سمعنا عنه أخيرا من قيام إسرائيل بتمصير أفلام الجنس العالمية ، باستخدام أحدث أساليب المونتاج الإلكترونى الرقمى ، والذى تمكنت بواسطته من إحلال صور أوجه بعض الممثلين المصريين والممثلات المصريات محل أوجه الممثلين والممثلات الأصليين وما هى إلا مجرد بداية لهذا التزييف الرقمى الذى فى طريقه لأن يصبح من أقوى أسلحة التشويه الثقافى (المصدر: مجلة عالم المعرفة ، ع ٢٦٥ ، يناير ٢٠٠١م ، ص ٥٨).

(٢) عواطف عبدالرحمن: "حرية الإعلام المعاصر وتحديات العولمة" مجلة الدراسات الإعلامية ، ع(٩٣) ، (القاهرة ، المركز العربى الإقليمى ، أكتوبر/ديسمبر ١٩٩٨م) ، ص ٧٤ ، ٧٥.

(٣) عبدالتواب عبداللاه عبدالتواب: "التربية الجنسية فى التعليم الثانوى بين النظرية والتطبيق" ، مجلة كلية التربية بأسيوط ، مج (٢) ، ع (٦) ، مطبعة جامعة أسيوط ، يونية ١٩٩٠ ، ص ٥٠٣.

الأخبار الجنسية بشكل مثير للغرائز فى الصحف والمجلات الأجنبية وغيرها من وسائل الإعلام المنحرفه"(١) وقد أدى ذلك إلى بلبلة أفكار الشباب الأمر الذى ترتب عليه انحراف بعض الشباب جنسيا ، واستغلال الجنس فى الأوجه غير المشروعة دينيا ، وانتشار ما يعرف بالزواج العرفى بين فئة المراهقين وهذا النوع من الزواج لا يضمن للمرأة حقوقها ، ولا يصون كرامتها وعفتها وتؤكد "أمينة الجندى" وزيرة التأمينات والشئون الاجتماعية وصول نسبة الزواج العرفى بين شباب الجامعات فى مصر إلى (١٧,٢٪) ، وهى نسبة لا يستهان بها"(٢) وإذا كان هذا هو حال شبابنا المثقف الواعى ، فماذا تكون هذه النسبة بين شبابنا غير المثقف أو الأقل ثقافة فى مراحل تعليمنا المختلفة قبل مرحلة التعليم العالى الجامعى

وكذلك "أثبتت تحقيقات النيابة فى مصر أن الاستخدام السئ لوسائل الاتصال والتكنولوجيا أدى فى خروج قلة من الشباب عن التقاليد والعادات السوية ، وهم من عرفوا بأسم عبدة الشيطان"(٣) وعندما علمت بذلك "أدركت ضرورة تمسكنا بميتافيزيقانا من أجل إحراز النهضة ، فيجب علينا التزامنا بها واحترامنا لها وثقتنا فيها ، وتمسكنا بها كما يتمسك المرء بأمه ويصونها ويدافع عنها ، ولا يكاد هناك شئ أسوأ من خيانة فرد لميتافيزيقا أمته إلا خيانة المرء لأمه"(٤).

٥-تغيرات ثقافية ـ صحية:

"الصحة: حالة من المعافاة الكاملة بدنيا ونفسيا واجتماعيا ، لا مجرد انتفاء المرض والعجز وعلى هذا يمكن النظر إلى الصحة كحالة مثلى من اللياقة الشخصية تؤهل

---

(١) مرفت إبراهيم: انحراف الشباب، المشكلة والعلاج فى الإسلام، ط١، مكتبة العلم والإيمان، دسوق، ١٩٩٧م، ص ٣٨.

(٢) جريدة الأخبار: "أمينة الجندى فى ندوة الزواج العرفى" ، ط١ ، العدد (١٤٩٧٧) ، السنة (٤٨) ، الأحد الموافق ٣٠ من إبريل ٢٠٠٠م ، ص ٩.

(٣) أحمد بهجت: "الانترنيت ، جيدها جيد ، وقبيحها قبيح!!" ، نشرة دريم (غير دورية) ، ع (٥) ، (القاهرة ، الإمار للدعاية والإعلان ، أغسطس/سبتمبر ١٩٩٧م) ، ص ٥.

(٤) جلال أمين: "عن العلم والميتافيزيقا والنهضة" ، مجلة العربى ، ع (٤٩٤) ، (الكويت ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، يناير ٢٠٠٠م) ، ص ١١٣.

الشخص ليعيش سليما ويفكر وينتج ويتفاعل إيجابيا مع بيئته ومجتمعه"[١] وأن أكبر مؤشر على التطور الصحى الذى مارسه الإنسان هو متوسط عمره ، وتقدم "الأرقام ، التى جاءت فى تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٩م ، مفاجأة سارة ، وهى أن إنسان نهاية القرن العشرين بات يتمتع بمتوسط عمر يفوق كل ما سبق ، ففى عام (١٩٩٧م) كان هناك (٨٤) بلدا يتمتع بتوقعات حياة تزيد على سبعين عاما ، والتقدم سريع ، فلم يكن عدد هذه البلدان أكثر من (٥٥) بلدا فى عام (١٩٩٠م)"[٢].

وبالإطلاع على تقرير التنمية البشرية فى سنوات مختلفة ، سوف نجد حقيقتين وهما:

١- **الأولى**: هناك ارتفاع مستمر فى متوسط عمر الإنسان بمرور الزمن.

٢- **الثانية**: هناك ارتفاع مستمر لصالح الدول الصناعية المتقدمة عن النامية فى متوسط العمر.

ويسعى الإنسان جاهدا ، نحو تقليل عمليات الهدم الحيوى التى تتم داخله ، وأن ذلك لا يعنى تدخله فى تحديد لحظة الموت، فقد قال تعالى: "نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ..."[٣] "وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ..."[٤] ، وبذلك كل ما يستطيع عمله الإنسان هو تأجيل فترة الشيخوخة وفق إمكانياته المتاحة ، وأن يعيش حياته ، حياة سعيدة بلا مرض فإن "سنة الحياة تقتضى بضرورة وجود الداء والدواء . ويجب على كل إنسان أن يكافح للوقاية بلا ملل أو كلل . إذا كان فى العمر بقية . فلابد من تدارك الشفاء"[٥] والآن تقدمت العلوم الطبية فى السنوات الأخيرة تقدما ملحوظا ، والآن نعيش "عصر الهندسة

---

(١) دليل التوعية الصحية لقادة الشباب، الجزء الأول، منظمة الصحة العالمية، المنظمة الكشفية العربية، (د ـ ت) ، ص ٨.

(٢) محمود المراغى: "أرقام" ، مجلة العربى ، ع (٤٩٤) ، (الكويت ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، يناير ٢٠٠٠م) ، ص ١٠٦.

(٣) القرآن الكريم: سورة آل عمران ، من الآية: ١٨٥.

(٤) القرآن الكريم: سورة المنافقون ، من الآية: ١١.

(٥) عبدالمنعم مرسى ، ومختار عبدالقدوس: الموسوعة العلاجية ، صحتك وعلاجك ، بين يديك فى الأعشاب ، الجزء الثانى ، (الشركة المتحدة للنشر والتوزيع بالزقازيق ، ١٩٩٨م) ، ص ١٠.

الوراثية ، آملين أن نتخلص من العديد من الأمراض التى أصبحت تهدد حياة الإنسان تهديدا مباشرا"[(١)] وبالفعل فقد نجح الإنسان فى تجربة الاستنساخ الشهيرة "دولى"[(*)] والتى أثارت مجموعة من الأسئلة منها: هل تنجح التجربة مع الإنسان؟ وهل إننا مقدمون على إنتاج إنسان حسب الطلب؟ ... الخ كما نجح الإنسان فى دراسة علم الجينات ، وأضخم مشروع يعمل فيه الآن هو الجنيوم البشرى" الذى يهدف لعمل خريطة كاملة لكل جينات الإنسان، والمقرر الانتهاء منه عام ٢٠٠٥م ، بعد التصريح فى مايو ١٩٩٧م ، بأنه تم إنجاز أكثر من نصف المشروع"[(٢)] ويحاول العلماء تطبيق علم "هندسة الجينات فى كل ميدان من ميادين الحياة وذلك يؤكد أننا مقدمون على عصر لغة الجينات"[(٣)] ويبدو واضحا من السطور السابقة أن هناك صراعا دائما بين الإنسان والأمراض ، من أجل البقاء. وإن كان أخطر هذه الأمراض هو طاعون العصر المعروف (بالإيدز) ونلاحظ انتشاره بشراهه فى المجتمعات الغربية بصفة عامة وأمريكا بصفة خاصة ، وبعض الدول الأفريقية ، وذلك لابتعاد هذه المجتمعات عن تعاليم وقيم الأديان السماوية السمحة ، حيث جميعها تنادى بالإباحية الجنسية ولا تحرم الشذوذ الجنسى والاختلاط غير الشرعى ، والإجهاض وقد قال تعالى: "وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾"[(٤)] ولذلك تنخفض نسبة الإصابة فى المجتمعات العربية المتدينة بصفة عامة ، ومنها مصر بصفة خاصة ، لتمسكها بالعفة وهى أحد القيم الدينية.

---

(١) عبدالباسط الجمل: الهندسة الوراثية وأبحاث الدواء ، ط١ ، (القاهرة ، دار الرشاد ، ١٩٩٨م) ، ص٩.

(*) أسم النعجة التى نجح استنساخها ، اعتمادا على خلية الضرع فى الاستنساخ ، وتم استنساخها بعد عدد من التجارب (٢٧٧) تجربة ، وذلك على يد د.ويلموت وفريقه العلمى.

(٢) عبدالباسط الجمل: عصر الجينات ، ط١ ، (القاهرة ، دار الرشاد ، ١٩٩٨م) ، ص ٩٩ ، ١٨٣.

(٣) (المرجع السابق) ، ص ٩ ، ١٨٣.

(٤) القرآن الكريم: سورة الإسراء ، الآية: ٣٢.

٦- تغيرات ثقافية ـ تعليمية:

"إن التعليم ، شأنه شأن كل نظام اجتماعى ، هو جزء من كل ، هو الجسم المجتمعى الكبير ، يصح بصحته ويعتل بمرضه ، وخاصة فى البلدان المتخلفة ، ومنها العربية بطبيعة الحال"(١) ولذا "تهتم المجتمعات المختلفة بالمؤسسات التعليمية كالمدارس والجامعات والمراكز البحثية(*) وغيرها للحفاظ على تراثها الثقافى وتثقيف وتعليم مواطنيها وإكسابهم الأنماط السلوكية التى تقود المجتمع إلى التقدم بالإضافة إلى إعداد القوى البشرية اللازمة لخطط التنمية"(٢) "وتشير إحصاءات اليونسكو إلى تزايد أعداد الملتحقين بالتعليم من (٣٢٨) مليون إلى (٧١٥) مليون فى الفترة من ١٩٧٠-١٩٨٠م فى الدول النامية وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والكاريبى"(٣) ويتأكد لنا يوما بعد يوم أن المعرفة وليست مجرد توافر المواد الطبيعية . هى القوة الحقيقية(**) وإنها أغلى الموارد تكلفة، كما أنها أكثرها عائد ، ويكفينا هنا الإشارة إلى ما توصلت إليه صورة الجينات من إنتاج النعجة الدولى ، ومن زراعة بدون تربة ، "والشئ نفسه فى المجال العسكرى ، فلم تعد الجيوش الكبيرة هى الأقوى ، ولكنها الجيوش المتقدمة تكنولوجيا... والآن يعرف العالم الطائرة بلا طيار ، ويعرف (الحرب عن بعد) ، من خلال الصواريخ ودون التحام على الإطلاق ، والآن تزداد القوة التدميرية للأسلحة لتنجز ما كانت تنجزه جيوش ضخمة فى

---

(١) سعيد إسماعيل على: "التعليم العربى" ، مجلة العربى ، ع (٤٩٣) ، (الكويت ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ديسمبر ١٩٩٩م) ، ص ٩٩.

(*) خذ على سبيل المثال بغرض الوعى: إن إسرائيل سعت إلى إقامة قاعدة علمية ـ تكنولوجية ضخمة لدعم مجهودها الحربى فى المقام الأول ، وكانت ركيزتها شبكة من معاهد البحوث المتقدمة ، على رأسها معهد وايزمان وتيكنون اللذان يحظيان بتقدير كبير فى الأوساط العلمية العالمية... وتعد الجامعات الإسرائيلية من أعلى الجامعات فى معدلات تسجيل براءات الاختراع (المصدر مجلة عالم المعرفة ، ع ٢٦٥ ، يناير ٢٠٠١ ، ص ٥٣).

(٢) سمير عبدالحميد القطب: "الوظائف القومية للتعليم الثانوى الفنى فى مصر فى سياق التغيرات الثقافية المعاصرة" (مرجع سابق) ، ص ٣٢.

(3) UNESCO, World Education Report 1991, France: UNESCO, 1991, p. 27.

(**) لعل البعض يذكر ما ورد فى كلمة شيمون بريز عند توقيع اتفاقية القاهرة "من أن المعلومات أقوى من المدفع" (المصدر مجلة عالم المعرفة ، ع ٢٦٥ ، يناير ٢٠٠١م ، ص ٥٢).

الحرب العالمية الثانية ، تفعل ذلك فى دقائق أو ساعات"[(١)] ويذهلنا أخيرا ما أبدعه العالم المصرى "أحمد زويل" من تمكنه من قياس حركة الجزيئات فى الفمتوثانية[(***)] . وما يمكن أن تؤدى إليه هذه التجربة ، من نتائج هائله فى عالم الطب وصناعة الدواء... ونتساءل لماذا لا يكون لدى أمتنا القدرة على تكوين آلاف من (الزويليين)؟. وعن أهمية الدور الخطير الذى يسهم به التعليم فى أصول التنمية البشرية ، فقد أخذ تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٩م ، على عاتقه ترتيب البلدان/الدول على أساس حالتها التعليمية ضمن مكونات التنمية البشرية (أنظر الجدول الآتى) (٢-٣).

جدول رقم (٢-٣):

يقدم بعض مؤشرات الحالة التعليمية فى بعض البلدان بصورة إجمالية لعام ١٩٩٧م[(٢)]:

البيان	معدل الأمية		معدل القيد فى مراحل التعليم الثلاث		مؤشرات الحالة التعليمية (٪)	الإنفاق على التعليم من	
	ذ + أ٪	أ٪	ذ + أ٪	أ٪		الناتج القومى الإجمالى٪	الإنفاق الحكومى العام٪
الدول العربية	٤١,٤	٥٣,٦	٥٩	٥٤	٠,٥٩	٥,٩(١٩٨٥)	١٥,٨
كل الدول النامية	٢٨,٦	٣٩,١	٥٩	٥٥	٠,٦٧	٣,٦	١٤,٨
أمريكا اللاتينية	١٢,٨	١٣,٨	٧٢	٧٧	٠,٨٢	٤,٥	١٧,٩
الدول الصناعية	١,٣	١,٤	٩٢	٩٣	٠,٩٦	٥,١	١٢,٣
العالم	٢٢	٢٨,٩	٦٣	٦٠	٠,٧٣	٤,٨(١٩٨٥)	١٢,٧

ولعل نظرة سريعة وفاحصة فى الجدول السابق ، توضح لنا تشابه الظروف التعليمية فى الدول العربية والنامية ، حيث نجد انخفاضا واضحا فى مؤشرات الحالة التعليمية وتعانى هذه الدول بشكل أو بآخر من ارتفاع معدلات الأمية ، مع أن أبسط وأول

---

(١) محمود المراغى: "أرقام" ، تناقض الأمم!" ، مجلة العربى ، ع (٤٩٨) ، (مرجع سابق) ، ص ٧٧.

(***)وحدة صغيرة جدا لقياس الزمن وهى تقدر بـ (واحد على ألف تريليون من الثانية) ونجح فى التقاط ما يجرى داخل الجزيئات بواسطة آله تصوير فائقة السرعة ، وتقديرا لمجهود عالمنا البحيرى حصل على جائزة نوبل ، [المصدر: مجلة عالم المعرفة ، ع (٢٦٥) ، يناير ٢٠٠١م ، ص ٢٥].

(٢) حامد عمار: "نحو تعليم المستقبل" ، مجلة العربى ، ع (٤٩٤) ، (الكويت ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، يناير ٢٠٠٠م) ، ص ٥٣.

وألزم المكونات فى الحالة التعليمية لأى مجتمع بشرى معاصر هو إلمامه وسيطرته على أهم مفاتيح المعرفة والدراية.

وإذا كان الأمى فى مصر "المواطن الذى يتراوح عمره بين (٨-٤٥) سنة ، وغير مقيد فى أية مرحلة ، ولم يصل فى تعليمه إلى مستوى نهاية الصف الرابع الابتدائى"(١) أما نفس المفهوم فله معنى أخر عند "فريد ريكومايور" مدير عام منظمة اليونسكو الدولية ، الذى يرى أن على الإنسان أن يتعلم على الأقل لغتين أجنبيتين ، بخلاف لغة بلده الأصلية وأن يكون ملما بالكمبيوتر ، حتى لا يكون أميا عصريا بالمفهوم الحضارى.

والملاحظ ارتفاع أعداد الأميين فى الوطن العربى ، وكذلك ارتفاعها عند الإناث أكثر من الرجال "حيث انتقل العدد الإجمالى (ذكور وإناث) من (٤٩ إلى ٦٦.٥) مليون نسمة بين عامين (٧٥ إلى ١٩٩٥م) وهو مرشح لوصوله (٦٩.٤) مليون نسمة فى عام ٢٠٠٥م والجدول الآتى رقم (٢-٤) يوضح هذا التطور الكمى.

جدول رقم (٢-٤)(*):

تطور الأمية لدى الكبار فى الوطن العربى (١٥ سنة فأكثر)

السنة	١٩٧٥		١٩٨٥		١٩٩٠		١٩٩٥		٢٠٠٠	
البيان	بالمليون	%	بالمليون	%	بالمليون	%	بالمليون	%	بالمليون	%
ذكور + إناث	٤٩	٧٢,٧	٦١	٥٦,٥	٦٣,٧	٥١,١	٦٦,٥	٤٥,٠	٦٩	٤٠,٢
ذ	٢٠	٥٩,٧	٢٣	٤٢,٦	٢٣,٧	٣٧,٠	٢٤,٤	٣٢,٤	٢٥	٢٨,٧
إ	٢٩	٨٥,٦	٣٨	٧٠,٥	٤٠,٠	٦٤,٢	٤٣,٢	٥٨,٠	٤٤	٥١,٩

والسؤال المطروح الآن: إذا كان هذا هو حالة الأمية فى الوطن العربى بصفة عامة ، إذن فأين نحن (مصر) من هذه القضية.

---

(١) على أبو ليله وآخران: المجتمع الريفى ومشكلاته ، للصف الأول الثانوى الزراعى ، نظام السنوات الثلاث ، وزارة التربية والتعليم ، جمهورية مصر العربية ، (طنطا ، دار الكتب الجامعية الحديثة للطباعة والنشر ، ١٩٩٨/٩٧م) ص ١١١-١١٢.

(*) حامد عمار: التنمية البشرية فى الوطن العربى (١) ، ط١ ، (القاهرة ، سيناء للنشر ، ١٩٩٢م) ، ص١٤٦.

فالحقيقة المؤسفة التى تحتاج منا إلى مواجهة حاسمة هو أن "مصر من الدول التى مازالت ترتفع فيها نسبة الأمية ، حيث وصلت إلى نسبة (٣٩٪) فى عام (١٩٩٦م)"[١] برغم الجهود المبذولة لمكافحتها وصدور "إعلان رئيس الجمهورية (محمد حسنى مبارك) باعتبار أن السنوات العشر من ١٩٩٠-١٩٩٩م ، عقدا لمحو الأمية وتعليم الكبار"[٢] وأخيرا وليس بآخر فنحن نطمع فى القضاء على الأمية نهائيا مثلما ، قضت عليها اليابان ، وإذا كان المحللون التربويون يبرهنون على أن الدافع وراء نهضة اليابان ، هو خروجها مهزومة إبان الحرب العالمية الثانية ، فأقول: كم عانى الشعب المصرى من ويلات الاستعمار ، والتاريخ خير شاهد على ذلك. ويقتضى الأمر النظر إلى تطوير تعليم المستقبل الذى يقع على عاتقه مسئولية إعداد الفرد والمجتمع فى ضوء متغيرات العصر الثقافية وليكن شعارنا "الاهتمام بالتعليم من أجل حياة أفضل للبشرية".

٧-تغيرات ثقافية ـ علمية/تكنولوجية:

تواجه المجتمعات اليوم ، باعتبار العلم لغة العصر والتغيير سنته ، انفجارا معرفيا وتطورا متزايدا تكنولوجيا مطردا ، "وقد شهد الواقع العالمى الجديد ، الذى أخذ يتنامى خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، تقدما هائلا فى مجال تكنولوجيا المعلومات مازال ينمو حتى اليوم ، وبمعدلات غير مسبوقة فى سرعتها"[٣] وتردد وسائل الإعلام المرئية منها والمقروءة والمسموعة بشكل دائم يوحى "بأن العالم أصبح اليوم مدينة صغيرة أو قرية كبيرة يعرف سكانها تفاصيل الأحداث اليومية الهامة التى تجرى يوميا على امتداد

---

(١) نادية جمال الدين: "التعليم للجميع على مشارف قرن جديد ، دعوة للحوار حول محو الأمية فى مصر الهدف والوسيلة"، مجلة التربية والتعليم، مج (٦) ، ع (١٤) ، (قليوب ـ مصر ، مطابع الأهرام ، يناير ١٩٩٩م) ، ص ٣٨

(٢) مجلة التربية والتعليم: "إعلان رئيس الجمهورية باعتبار العشر سنوات القادمة عقدا لمحو الأمية وتعليم الكبار" مجلة التربية والتعليم ، س (١) ، ع (٣) ، (قليوب ـ مصر ، مطابع الأهرام ، يونية ١٩٩٠م) ، ص ٩٧.

(٣) عز الدين إسماعيل: "العولمة وأزمة المصطلح" ، مجلة العربى ، ع (٤٩٨) ، (الكويت ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، مايو ٢٠٠٠م) ، ص ١٦٤.

الكرة الأرضية وقد ساعدت الثورة التكنولوجية الأخيرة في عصر الانترنت على تقريب زمن الجماعات والأفراد معا ، وبالصوت والصورة"(١) وبذلك استطاع "الإنسان الذى يجلس فى منزله أن يرى ويتأثر بما يجرى ويدور فى مختلف أنحاء العالم من خلال شاشة صغيرة"(٢) "فتقنيات الانترنت ، والمفكرات الالكترونية ، والكمبيوترات الشخصية ، والتليفزيون والهاتف وغير ذلك ، ستشكل نواة حضارة المستقبل"(٣) واستطع أن أقول: بكل صدق وموضوعية ودون تحيز لعصرى "أننا نعيش عصر المعلوماتية" وفيه يعتبر "الحاسب الآلى حجر الزاوية ، وإحدى الدعائم الرئيسة لهذا العصر ، وأصبح يرتبط ارتباط مباشرا بكل أوجه الحياة الحديثة ، سواء فى محيط العمل ، أو المنزل"(٤) ويتوقع التربويون مزيدا من الانفتاح التكنولوجى فى أداء المعلم وأمين المكتبة تجاه العملية التعليمية ، واليوم مع بدايات القرن الواحد والعشرين ظهر الاستعمال الرقمى "*Digital*" وهو أسلوب حديث لإدارة الأجهزة والأدوات بالأرقام. وفى مجال المكتبة يمكن استخدام "الأدوات والوسائل التقنية الحديثة فى حفظ المعلومات من أشرطة الكاسيت والأسطوانة الدوارة والفيلم السينمائى إلى أشرطة الفيديو والميكروفيلم"(٥) بجانب أجهزة التصوير والعروض المختلفة

---

(١) مسعود صابر: "صدام الحضارات ، كمقولة أيديولوجية لعصر العولمة الأمريكية" ، أوراق ومداخلات المؤتمر الدولى حول (صراع الحضارات أم حوار الثقافات) ، المنعقد فى الفترة من (١٠-١٢) مارس ١٩٩٧ بالقاهرة (القاهرة ، مطبوعات القضاعى ، ١٩٩٧م) ، ص ٣٤٥.
and: Toylor, R., Reminissing abut future, Libarary Journal, September, 15, 1979, p. 1872.

(٢) السيد أحمد الصردى: مفاهيم صحفية ، سلسلة مكتبة الصحافة المدرسية للمؤلف ، ط١ ، (القاهرة ، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ، يناير ١٩٩٨م) ، ص ٨.

(٣) زكريا يحيى هلال: "الأنظمة الرقمية ومستقبل التعليم" ، مجلة العربى ، ع (٤٩٤) ، (الكويت ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، يناير ٢٠٠٠م) ، ص ٣٥.

(٤) على عزت سلامة: الحاسب الآلى ، سلسلة العلم والحياة (٥) ، ط١ ، (القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٩٨م) ، ص ٧.

(٥) يوسف جاسم الصاعى: "المعرفة وتطورها والتطور الحتمى لوسائلها" ، مجلة التربية ، س (٢١) ، ع(١٠٢)، (قطر اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة و العلوم ، ٨ سبتمبر ١٩٩٢م) ، ص ١٧٦.

، والكمبيوترات واتصالها بشبكات المعلومات العالمية وعلينا أن ندرك "أن تكنولوجيا المعلومات أصبحت مطلبا أساسيا.. لأغراض الأبحاث والتنمية للنظم التعليمية التى نسعى لها[١] ، "ويمكن عن طريق استخدام وسائل الاتصال التعليمية بأنواعها المتعددة سواء أكانت سمعية أم بصرية أم كليهما تدريس الكثير من المعلومات والحقائق والمفاهيم التى يتضمنها مقرر معين وتعفى المدرس من الإلقاء وتحقق الكثير من أهداف المقرر الدراسى على نحو أكثر فعالية مما لو اعتمد المعلم فى تدريسه على الطرق اللفظية القائمة على الإلقاء"[٢].

وفى الحقيقة لم تكن التطورات العلمية والتكنولوجية فى المجالات التى تخدم الإنسان فقط ولكنها كانت أيضا فى المجالات التى تدمره ، فهناك تقدم علمى وتكنولوجى هائل فى مجال التسليح النووى وأسلحة الدمار الشامل والحرب الكيماوية وارتفعت نسبة البطالة وقلت أعداد العمالة فى المصانع وقد ناقش هذه القضية الاقتصادى الأمريكى "جرمى ريفكين" رئيس "مؤسسة الاتجاهات الاقتصادية" فى واشنطن ، فى كتاب أصدره أخيرا بعنوان "نهاية عصر العمل" وأوضح فيه "أن الإحصاءات العالمية تشير إلى أنه . فى الستينات . كان حوالى (٣٣٪) من القوى العاملة فى العالم يشغلون وظائف عمالية (ذو الياقات الزرقاء) وقد انخفضت هذه النسبة . فى التسعينات . لتصل إلى أقل من (١٧٪) ومن المتوقع أن تواصل انخفاضها لتصل إلى (٢٪) بحلول عام ٢٠٠٥م"[٣].

---

(١) إبراهيم نافع: "تنمية العالم الثالث تعتمد على تصنيع أدوات ثورة المعلومات"، جريدة الأهرام فى مصر، ط٢ ص (١٢٢) ، ع (٤٠٧٠٣) ، السبت ١٦ مايو ١٩٩٨م ، ص ٢٢.

(٢) أحمد حسين اللقانى: الوسائل التعليمية والمنهج المدرسى ، سلسلة معالم تربوية ، ط١ ، (القاهرة ، مركز الكتاب للنشر ، ١٩٩٦م) ، ص ٧٦.

(٣) عزت سامى: "حول العالم مع انتشار التكنولوجيا وعصر المعلومات... هل ينتهى عصر العمل؟! مجلة العمل ص (٣٧) ، ع (٤٤١) ، وزارة القوى العاملة ، فبراير ٢٠٠٠م ، ص ٦٤.

ويمكن بيان كل الإنجازات والمخاطر التى نتجت عن التطور المطرد للعلم وتطبيقاته التكنولوجية والتى أتفق عليها عدد غير قليل من العلماء فى الجدول الآتى (١):

جدول رقم (٣-٥)

الإنجازات والمخاطر التى نتجت عن التطور المطرد للعلم وتطبيقاته التكنولوجية

النجاح التقنى	المشاكل التى نتجت عنه
١-تطويل أمد الحياة.	تفجر السكان ، مشاكل المسنين.
٢-تطور العلم وتقدم التكنولوجيا.	إمكان الدمار الكلى بواسطة الأسلحة الكيماوية والذرية والنووية.
٣-إحلال الآلة محل العامل العادى.	ازدياد البطالة وارتفاع عدد العاطلين عن العمل.
٤-التقدم فى المواصلات ووسائل النقل.	ازدياد تلوث الهواء والمناخ وارتفاع الضجيج.
٥-ازدياد فعالية أنظمة الإنتاج ومردودها.	تجريد العمل العادى من العنصر الإنسانى.
٦-مجتمع الوفرة والثراء.	ازدياد الاستهلاك الفردى للطاقة والسلع ، تلويث جو الأرض ونضوب الموارد الطبيعية.
٧-إرضاء الحاجات الأساسية.	ثورة الآمال الصاعدة على المستوى العالمى والثورة ضد العمل الروتينى المجرد من المعنى.
٨-الدقة فى التنظيم وارتفاع مردود الفرد.	تحول الإنسان إلى ما يشبه الآلة وتجريده من إنسانيته.
٩-ازدياد الخيارات المتاحة للإنسان.	النتائج غير المتوقعة للتطبيق والتقنية.
١٠- ازدياد ثروة الأمم المتقدمة.	إتساع الفجوة بين الأمم الغنية والفقيرة وخيبة ثورة الآمال لدى الشعوب الأخيرة.

(١) جورج طعمة: "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر" ، مجلة الفكر العربى المعاصر ، العددان (٥٦ ، ٥٧) بيروت ، لبنان ، مركز الإنماء القومى ، سبتمبر/اكتوبر ، ١٩٨٨م) ، ص ٣٥.

والمجتمع المصرى يعيش فى خضم هذا التغيير العلمى والتفوق التقنى ويعانى من تلك المشكلات التى تعانى منها كل دول العالم ، "وليس لنا سوى التربية مخرجا لانتشال أمتنا العربية من أزمتها الراهنة ، فالتربية هى مدخلنا إلى تنمية شاملة وصامدة ، ودرعنا الواقى ضد الاكتساح الثقافى فى عصر العولمة ، وأهم أسحلتنا فى مواجهة التفوق الإسرائيلى العلمى والتكنولوجى" (١) ولا ننسى أن العلم الحقيقى هو الذى يهذب الأخلاق ويلهب شعور الخير ، وتوجه به العقول نحو عظمة الخالق ، وإنقاذ الإنسانية من الضياع والدمار.

٨-تغيرات ثقافية ـ عقائدية،

"الإنسان كائن اجتماعى ، يعيش فى مجتمع تربطه بكثير من أفراده علاقات متعددة ، وجدانية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وغير ذلك من أنواع العلاقات الإنسانية"(٢) وكما نعلم فالإنسان "حيوان متدين . ذو عقيدة .وهذا الدين وتلك العقيدة هما اللذان يحفظان للإنسان توازنه النفسى ، وبدونهما يختل ذلك التوازن وينهار الإنسان ويتحقق ذلك التوازن النفسى الضرورى للإنسان من خلال تلك الحلول التى تقدمها العقيدة لمسائل الحياة"(٣) ودائما "يشعر الإنسان فى قرارة نفسه بالحاجة إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وما يؤدى إليه ذلك من شعور بالأمن والطمأنينة"(٤) "فالصدق والاستقامة والغيرة والتضحية والشهامة والعفة والنخوة والمروءة والوفاء والشجاعة وإباء الضيم ، كلها أخلاق

(١) نبيل على: "الثقافة العربية وعصر المعلومات،رؤية لمستقبل الخطاب الثقافى العربى"،مجلة عالم المعرفة،ع(٢٦٥) (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، يناير ٢٠٠١م) ، ص٢٩١.
(٢) محمد عثمان نجاتى: الحديث النبوى وعلم النفس ، ط٢ ، (القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٣م) ، ص٨٤.
(٣) سمير عبدالحميد القطب: "الوظائف القيمية للتعليم الثانوى الفنى فى مصر..." (مرجع سابق) ، ص٣٠.
(٤) محمد عثمان نجاتى: الحديث النبوى وعلم النفس ، (مرجع سابق) ، ص ١٩.

[سامية]"[1] ومع التغيرات الهائلة فى مجال الاتصال والاختراق الثقافى ، ومع التقدم العلمى فى مجال الطب ومعرفة زراعة الأعضاء والاستنساخ البشرى ، ومع انهيار الشيوعية وبقاء الرأسمالية الغربية... إلى غير ذلك. كل هذه القضايا أدت إلى تضارب الأفكار ووقف الإنسان حائرا بين قضايا الحلال والحرام ، والخير والشر... وبذلك يمكن "القول: أنه فى ظل التغيرات العقائدية التى يموج بها العالم ، لم تعد شعوب العالم متفقه فى عقائدها على قيم ومبادئ بذاتها ، ولم تعد [الأفكار والمشاعر] ثابتة بل متغيرة ومضطربه ، وأصبحت المعلومات والمعارف العلمية تحظى باهتمام أكبر يفوق المشاعر الدينية والأعراف والتقاليد المجتمعية"[2] ومع ذلك فمازالت الغالبية العظمى من أبناء مصر يتمسكون بقيمهم الأخلاقية ومبادئهم وتراثهم وخصائصهم ، ولا يزال الناس فى العالم العربى يتمسكون بحياتهم "الاجتماعية والدينية ، فالأعياد والعبادات والاحتفالات (الصوم والحج والعيدان والاحتفالات الدينية ذات المدلول الثقافى/الحضارى) كلها تجرى فى بلادنا وفق التقويم الهجرى الذى يشكل جزءا من تراث العرب"[3].

وإن كان هناك على النقيض فئة بسيطة من الشباب غير الواعى غير المثقف يتصرفون "مثل الغرب دون مراعاة عادات وتقاليد المجتمع الشرقى [ويعتنقون] عالم غريب دخيل علينا ، وموضه وابتكارات ... (هيبز) ولكن هيبز مصرى جديد مبتكر"[4] ومن الغريب أيضا على مجتمعنا أن نجد هناك فتيات تضع مكياج غريب وألوانه غريبة تصيب

(١) حسن شحاته: تعليم الدين الإسلامى ، بين النظرية والتطبيق ، ط١، (القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٤م) ، ص ١٦.

(٢) سمير عبدالحميد القطب: "الوظائف القيمية للتعليم الثانوى الفنى فى مصر..." (مرجع سابق) ، ص٣٠.

(٣) قاسم عبده قاسم: "عرب سنة ١٠٠٠ وعرب سنة ٢٠٠٠م" ، مجلة العربى ، ع (٤٩٨) ، (الكويت ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، مايو ٢٠٠٠م) ، ص ٢٥.

(٤) نسرين الطنانى: "لا تقلدوا هؤلاء" مجلة النصر ، س (٤٢) أ، ع (٧١٩) ، (القاهرة ، دار الدفاع للصحافة والنشر ، مايو ١٩٩٩م) ، ص ١٦.

من يراه بالانقباض ، وأخرى ترتدى ملابس لا يتبين منها ومن قصة شعرها إذا كانت فتاة أم فتى وهناك شباب يرتدى البنداقة مقلدين الفتيات ، وبذلك يكون قد اختلط الحابل بالنابل. وفى الحقيقة لم أقصد بهذه الكلمات البكاء على الأطلال ، فهذا أمر لا يجدى ، ولم أقصد أيضا أن أرثى عرب ٢٠٠٠م وأزفهم إلى قبورهم ، فهذا أمر يخالف الحقيقة ، وأظن أننا نستطيع أن نتحول من خانة "المفعول به" فى الجملة العالمية إلى خانة "الفاعل". إذا "عملنا لدنيانا كأننا نعيش أبدا ولأخرتنا كأننا نموت غدا".

٩-تغيرات ثقافية ـ أسرية:

لو سألت شيخا كبير السن أو بحثت فى ذاكرة التاريخ عن شكل الأسرة قديما وحديثا ، لوجدت اختلاف بين الأسرة قديما وحديثا ، فلم تعد الأسرة هى الأسرة بشكلها الحالى: فقديما كانت الأسرة تتكون من الأب والأم والإبن والإبنة ، والجد وقد يكون هناك أبو الجد وهذا ما أطلق عليه "الأسرة الممتدة" واليوم بفعل ثورات التقدم: العلمية والتكنولوجية... تغير "نمط المجتمعات عن النمط التقليدى للأسرة والعشائر"[(١)] "واختلت العلاقات الاجتماعية ، وتقطعت الروابط الأسرية ، واختفت العائلة الممتدة"[(٢)] وأصبح يوجد الآن ما يسمى بالعائلة (الأسرة) النووية. ولقد أدى انتشار الدعوات والفلسفات التى تؤيد إشباع الغرائز والانفتاح على الترف المادى وانتشار أماكن اللهو إلى زيادة معدلات الظواهر الشاذة والمنحرفة فى حياة الأفراد ، مما كان له أثره السئ الخطير على ضعف تماسك الأسرة والإخفاق فى قيامها بوظائفها المختلفة ، ولذلك نحن فى حاجة ماسه لتربية الصغار خلقيا وإبعادهم عن قرناء السوء ، أى تعديل سلوكهم نحو الأفضل ويقول الغزالى فى

(١) السيد على شتا وفادية عمر الجولانى: علم الاجتماع التربوى،ط١،(الاسكندرية،مكتبة الإشعاع،١٩٩٧م)،ص ١٤٤.
(٢) سعيد إسماعيل وعصام هلال: التربية والتغيير الاجتماعى ، ط١ ، (طنطا ، مكتبة سماح بطنطا،١٩٨٣م)،ص ٧٣.

١٩٩٠م) من تدهور"[١] فلقد وصلت نسبة العجز فى ميزان المدفوعات (٢٤٪) من الناتج المحلى الإجمالى عام (٨٧/١٩٨٨م) وارتفع معدل التضخم ما بين (٢١-٢٤٪) وظهرت الاختلالات المالية فى شركات القطاع العام، وتفشت مشكلة البطالة وغيرها من المشكلات"[٢] ومن هنا جاء برنامج الإصلاح الاقتصادى المصرى ضرورة حتمية، بل كان المنقذ الوحيد لمصر وبتوفيق من الله) كانت نتائجه مثلجة ونذكر منها ما يلى[٣]:

- انخفضت الديون الخارجية ووصلت إلى ما بين (٢٧-٣٦) بعد أن كانت (٤٦-٥٢) مليار دولار.
- انخفض معدل التضخم من (٢١,٢٪) عام ٨٩/١٩٩٠م ووصل إلى (٤,٥٪) فى نهاية عام ١٩٩٥م.
- انخفضت نسبة العجز فى الموازنة العامة للدولة من (٢٧٪) عام ٨٩/١٩٩٠م، ووصل إلى (٢,٦٪) من الناتج المحلى الإجمالى عام ١٩٩٥م.
- ارتفع متوسط دخل الفرد السنوى ووصل إلى (٦٠٠) دولار فى عام ١٩٩٥م.

ورغم تلك الإنجازات التى تحققت فى النمو الاقتصادى، فإنه لازال أمامنا مشكلة التزايد السكانى المطرد، ومشكلة التضخم، والبطالة، ... هذا بالإضافة إلى النقص الكبير فى النواحى التكنولوجية والمعرفية فى زمن "باتت فيه المعاملات المالية على الهواء مباشرة عبر البورصات والشاشات أكبر حجما وأكثر خطرا من المبادلات السلعية!، وفى زمن لم يعد

(١) سامى عفيفى حاتم: المجتمعات الجديدة، طريق للتنمية الاقتصادية، ط١، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٢م)، ص ٤٥.

(٢) منى قاسم: الإصلاح الاقتصادى فى مصر، سلسلة مكتبة الأسرة، ط١، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م)، ص ٢١.

(٣) موسوعة مصر الحديثة، الاقتصاد، (مرجع سابق)، ص ١٣٦-١٣٩.

فيه الإنتاج بحاجة كبيرة من البشر بل أنه بحاجة لعقول الكترونية"[١] وأسواق خارجية مفتوحة! ولم يعد الإنتاج السلعى . والذى يستخدم عمالة كثيرة هو صاحب القسط الأكبر فى الناتج المحلى لأى بلد ، بل زحف اقتصاد الخدمات ، واقتصاد المعلومات. ولعلنا نهتم بتنمية العنصر والمورد البشرى مثلما اهتمت به اليابان[*] فهى تعتمد على ذلك المورد الأساسى فى تشكيل خطط تنميتها واستطاعت أن تحتل مكانة رائدة وتخلصت من هزيمتها عقب الحرب العالمية الثانية وقهرت موقعها الديمجرافى المحاصر بالبراكين والزلازل.ولا يمكن تحقيق ذلك التقدم لأى دولة دون الاعتماد على التعليم وتطويره باستمرار.

٤-تغيرات ثقافية ـ فكرية،

يمر العالم بمرحلة انتقالية "طابعها صراع الأطراف الدولية كبيرها وصغيرها... ويسير العالم بخطى حثيثه إلى القرن الواحد والعشرين ، والمثقفون والمفكرون مشغولون بهموم بلدانهم وأقدارها"[٢] ونظرا لأن "ثقافة المجتمع ، هى عنوان حياته ، والمعبر عن التفاعلات المختلفة بين عناصره المختلفة"[٣] فيثور الجدل الآن على امتداد العالم ، حول قضية الحضارات والثقافات ، وحول الأهداف المعلنة والخفية وراء تلك الأطروحات "ويمكن القول بأن مفهوم الثقافة العالمية . التى تعتمد العالمية مرجعا مثل التاريخ العالمى الأدب العالمى . الذى يشيع استعماله والدعوة إليه الآن ، ما هو إلا قناع أيديولوجى للنهب الاستعمارى ودورة فى حقل الفكر ؛ هو تهيئة الشروط من أجل إنتاج وإعادة العلاقات

---

(١) محمود المراغى: "أرقام ، تناقض الأمم" ، (مرجع سابق) ، ص ٧٧.

(*) فتأتى اليابان عالميا فى المرتبة الأولى بالنسبة للموارد البشرية فيما يخص نسبة عدد العلماء والفنيين إلى اجمالى عدد السكان ومع الأسف تحتل إسرائيل المرتبة الثانية فى هذا الصدد؟!!

(٢) فخرى لبيب: "مقدمة كتاب صراع الحضارات أم حوار الثقافات؟!!" أوراق ومداخلات المؤتمر الدولى بعنوان (صراع الحضارات أم حوار الثقافات) ، المنعقد فى القاهرة فى الفترة من (١٠-١٢) مارس ١٩٩٧م ، ط١ (القاهرة ، مطبوعات التضامن ، ١٩٩٧م) ، ص ٩.

(٣) مصطفى عبدالسميع: "المعلم الجامعى بين ثقافة التكنولوجيا ، وتكنولوجيا الثقافة" ، مجلة صحيفة التربية ، (القاهرة رابطة خريجى كليات التربية ، يناير ١٩٩٨م) ، ص ٢٨.

بمجموعة التغيرات الثقافية المختلفة ، وأن يكون لديه القدرة على توظيفها فى إتخاذ قراراته وأحكامه اليومية ، وهذا لن يتحقق إلا بتطوير عناصر العملية التعليمية بصفة عامة والتأكيد على الدور التربوى للمكتبة المدرسية بصفة خاصة(*) . والعمل على تحسين وتفعيل دورها التربوى "فى ظل متغيرات عصر المعلومات ، الذى ارتفعت فيه الأصوات ، هنا وهناك تنادى بفلسفة تربوية مغايرة ليس هدفها الإبقاء على ما هو قائم بل تنمية النزعة إلى لتغيير ومداومة نقد الواقع من أجل تصويبه وإغنائه ، من أجل أن يسترد الإنسان إنسانيته والمجتمع عقلانيته واتساقه وتوازنه"(١) .

(*) مزيد من التفاصيل سيأتى ذكره فى الفصل الرابع من الرسالة.

(١) نبيل على:"الثقافة العربية وعصر المعلومات:رؤية لمستقبل الخطاب الثقافى العربى" ، (مرجع سابق) ، ص ٢٢٢.